ملف خاص
يوليو 2020

# مواطن

www.muwatin.net

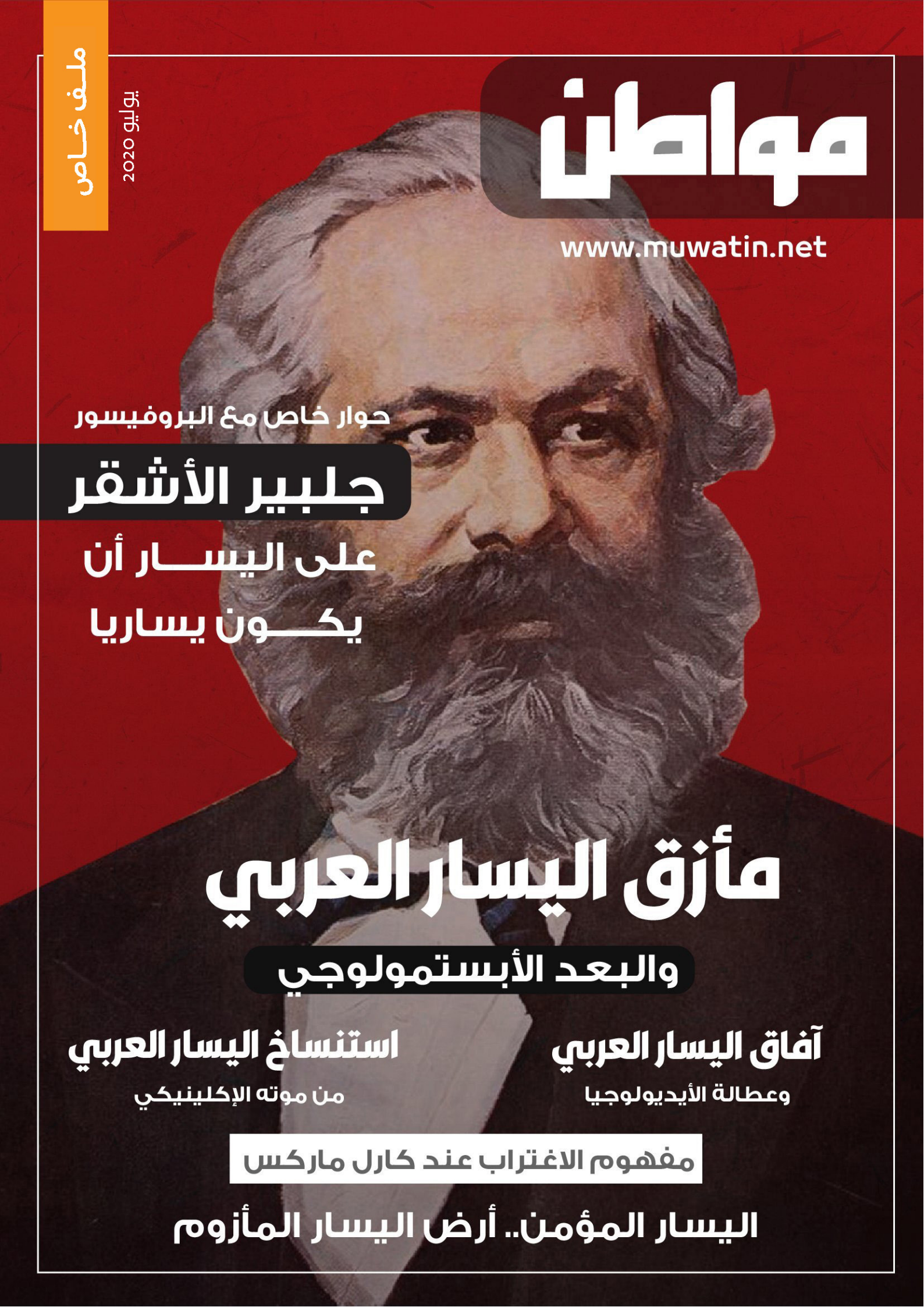

حوار خاص مع البروفيسور

## جلبير الأشقر

## على اليسار أن يكون يساريا

# مأزق اليسار العربي

## والبعد الأبستمولوجي

## آفاق اليسار العربي

وعطالة الأيديولوجيا

## استنساخ اليسار العربي

من موته الإكلينيكي

## مفهوم الاغتراب عند كارل ماركس

## اليسار المؤمن.. أرض اليسار المأزوم

ملـــف خـــاص صـــادر عـــن
شبكـة مـــواطن الإعلاميـــة
مــا بعـــد الخطوط الحمـراء
نرصد أحداث المجتمـع ونهتم
بقضـايا المواطن في الخليج
والعالم العربي
**المملكة المتحدة - لندن**

**للتواصل: Contact@muwatin.net**

**المدير التنفيذي رئيس التحرير**

**محمد الفزاري**

# الفهــــــــرس

1 تأشـــيـــرة
مأزق اليسار العربي والبعد الأبستمولوجي

4 على اليسار أن يكون يساريا..
حوار مع د. جلبير الأشقر

11 تداعـيات
الاقتصاد الخليجي ما بعد أزمة كورونا .. هل يتجه للتقشف والتوطين؟

16 أراء
آفاق اليســار العربــي وعطالة الأيديولوجية

20 أراء
أرض اليسار المأزوم

24 أراء
اليسار العربي وأفول النجم الأحمر الساطع

27 أراء
اليسار المؤمن

32 أراء
استنساخ اليسار العربي من موته

36 انفوجــرافيـــك
جيفارا: بطاقة تعريفية

37 بـانوراما
مفهوم الاغتراب عند كارل ماركس

45 فيديوجرافيك
ما سر أهمية كارل ماركس؟

تأشيـــرة

# مأزق اليسار العربي والبعد الأبستمولوجي

محمد الفزاري
رئيس التحرير

مأزق اليسار في وطننا العربي بكل أشكاله سواء كانت القومية أو الاشتراكية أو الماركسية، لا يختلف كثيرا عن الآديولوجيات الأخرى خاصة التقدمية منها؛ فجميعها تقريبا تعاني من انسداد أبستمولوجي شعبي على مستوى العقل الجمعي. بيد أن الأنكى من ذلك والأهم هو مأزق الغوغائية الدوغمائية في الطرح من قبل دعاتها وأنصارها. ولعلنا يمكن تلخيص هذا المأزق في مقاربة مقتضبة تتكون من أربعة محاور.

الأول التبعية الفكرية، حيث لم ينشأ التيار اليساري وخاصة الماركسي ضمن نسق تاريخي طبيعي يعكس التطور السوسيولوجي الاجتماعي نتيجة الحتمية الديالتيكية الهيجيلية أو الماركسية، قدر ما هو تقليد ونقل تجربة نشأت في ظروف مختلفة بالكامل، في تطور طبيعي امتد لمئات السنوات. وهذا بطبيعة الحال أدى إلى انفصال الفكرة عن الواقع وظهور خطاب أقرب إلى الرومانسية الثورية منها إلى الفعل الثقافي والسياسي.

ثانيا، الانسداد الأبستمولوجي، حيث إنه بعد الإخفاق المرير لليسار في المنطقة خاصة بعد هزيمة ٦٧ والنكسة الجيوسياسية والمعنوية التي صاحبتها مع استمرار الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وتوسعه الاستيطاني المستمر، أدى إلى ظهور تدين سلفي راديكالي عرف باسم الصحوة الإسلامية، رغم أن هناك عوامل أخرى أيضا دفعت إلى هذا التحول.

هذه البيئة كانت مناسبة جدا لتموضع آيديولوجيا الإسلام السياسي كبديل لتلك الأيديولوجيات السابقة التي زعم منظروها وساستها أنها الحل الأنجع لجميع مشكلات وأزمات المنطقة. مع مرور الوقت، هذا الواقع أدى إلى انسداد أبستمولوجي شعبي على مستوى العقل الجمعي وبات يرفض أو يتوجس من كل ما هو غربي تحت حجة قضية المؤامرة أو في أحايين كثيرة مجرد جهل ونقص في المعلومة.

مواطن
MuwatinNet
Muwatin.Net
+44 7426520301

وفي الحقيقة ساهم ممثلو اليسار أنفسهم في غرس الكثير من المغالطات في ذهنية رجل الشارع البسيط المتمسك والمدافع عن دينه حول ماهية اليسار وأهدافه بسبب ضعفهم الأبستمولوجي، كما ذكرت، حول النهج الذي يزعمونه واعتمادهم على الغوغائية الدوغمائية في الطرح.

ثالثا، التموضع والتحالفات الفاشلة، بسبب الانحسار الشعبي عن أفكار اليسار، اختارت الأحزاب اليسارية أن تستمر في اللعبة السياسية على حساب المبادئ التي طالما نادت بها. فبعض تلك الأحزاب وصل الحد بها أن تتحالف مع الإسلام السياسي، وبعضها الآخر وصل به الحد أن يتحالف مع الأنظمة الاستبدادية الوظيفية الموالية للغرب.

كذلك بسبب انحسارهم شعبيا مقابل انتشار أفكار الإسلام السياسي والسلفية بشكل عام، وتحالفهم مع الإسلام السياسي، مع مضي الوقت بدأت تظهر ملامح شكل جديد من اليسار. يسار يحاول أسلمة اليسار. يسار مستعد أن يتصادم مع أفكاره التي ينادي بها مقابل أن يحظى بفرصة تموضع سياسي أكبر لتزيد حظوظه السياسية.

رابعا، محاولة استدعاء الماضي لحل مشاكل الحاضر. المأزق الذي يعاني منه اليسار العربي في مواكبته للتغيرات لا يختلف كثيرا عن مأزق الإسلام السلفي، خاصة عند أولئك الذين حنطوا اليسار إلى عقائد ولها أدبيات فكرية مقدسة يجب ألا تمس مثلها مثل التراث الديني المقدس عند المتدينين. فهناك العقيدة القومية، والعقيدة الاشتراكية، والعقيدة الماركسية مع طوائفها المختلفة مثل الماركسية اللينينية، الستالينية الماوية، التروتسكية. وهذا زادهم انفصالا عن الواقع، ولكن الأنكى من ذلك عندما يقوم أحدهم محاولا فهم الحاضر وتفسيره بأدوات الماضي دون مراعات المتغيرات، عن طريق الحصول على إجابات جاهزة عبر تقليبه صفحات أدبياته المقدسة.

اليسار في الوطن العربي، كان منفصلا عن الواقع بنسبة كبيرة، وأصبح أكثر انفصلا خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والتداعيات الجيوسياسية والأيديولوجية التي لحقت هذا الانهيار على المنطقة العربية. اليسار في مجمله لم يكن أكثر من شعارات خاوية قامت بشكل أكبر على الغوغائية والتبعية الفكرية، وليس على البعد الأبستمولوجي والتطور الطبيعي للمجتمع نتيجة الحتمية التاريخية. وإذا كانت هناك استثناءات، فهي استثناءات عن القاعدة عبر مشاريع فردية ليس أكثر.

وعلى الرغم أن كل المؤشرات تثبت أن اليسار العربي على سرير الموت، بناء على حالة الضعف والتشرذم التي تشهدها القوى اليسارية في الواقع السياسي والاجتماعي، وكذلك قياسا على انتصار الأيدولوجيا الرأسمالية واستمرارها في تجاوز أزماتها الاقتصادية بخلاف توقعات ماركس، وكذلك أيضا كما ذكرت الكفر بالأفكار اليسارية والردة عليها أفواجا منذ بروز الصحوة الإسلامية وانتصار الرأسمالية والليبرالية بشكل عام، هذا لا يعني أنه ليس هناك أمل في شفاء المريض ولنا في بعض دول أمريكا اللاتينية عبرة.

المنطقة في أشد الحاجة للأفكار اليسارية، في أشد الحاجة للأحزاب السياسية اليسارية، بشرط أن يكون يسارا مصنعا محليا غير مستورد. لدى اليسار من جيل الشباب فرصة كبيرة في ظل وجود مواقع التواصل الاجتماعي، كأدوات ووسائل اتصال متطورة وسريعة وحرة بنسبة عالية، للوصول لأكبر عدد ممكن من الشباب العربي لإحداث التأثير والتغيير وزيادة فرصة التموضع السياسي، بالإضافة إلى أزمة كورونا العالمية التي أظهرت الكثير من مثالب وسوءات الرأسمالية المتوحشة. بيد أن هذا النجاح مرهون أيضا بمدى إيمان اليسار بمسلمات أصبحت من الضرورات والأساسيات في دولة المواطنة، وكذلك ليست ببعيدة عن القيم الماركسية مثل: المبادئ العامة لحقوق الإنسان المستمدة من الشرعة الدولية كالإعلان العالمي والعهدين الدوليين، وهذا بالضرورة يعني الاقرار بالحقوق والحريات السياسية والمدنية، والاقرار بمبدأ سيادة القانون ودولة المؤسسات واستقلال السلطة القضائية، والاعتراف بالتعددية السياسية في المجتمع وكل ما يترتب عليه من نتائج.

رئيس التحرير

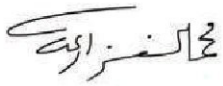

# على اليسار أن يكون يساريا..
## حوار مع د. جلبير الأشقر

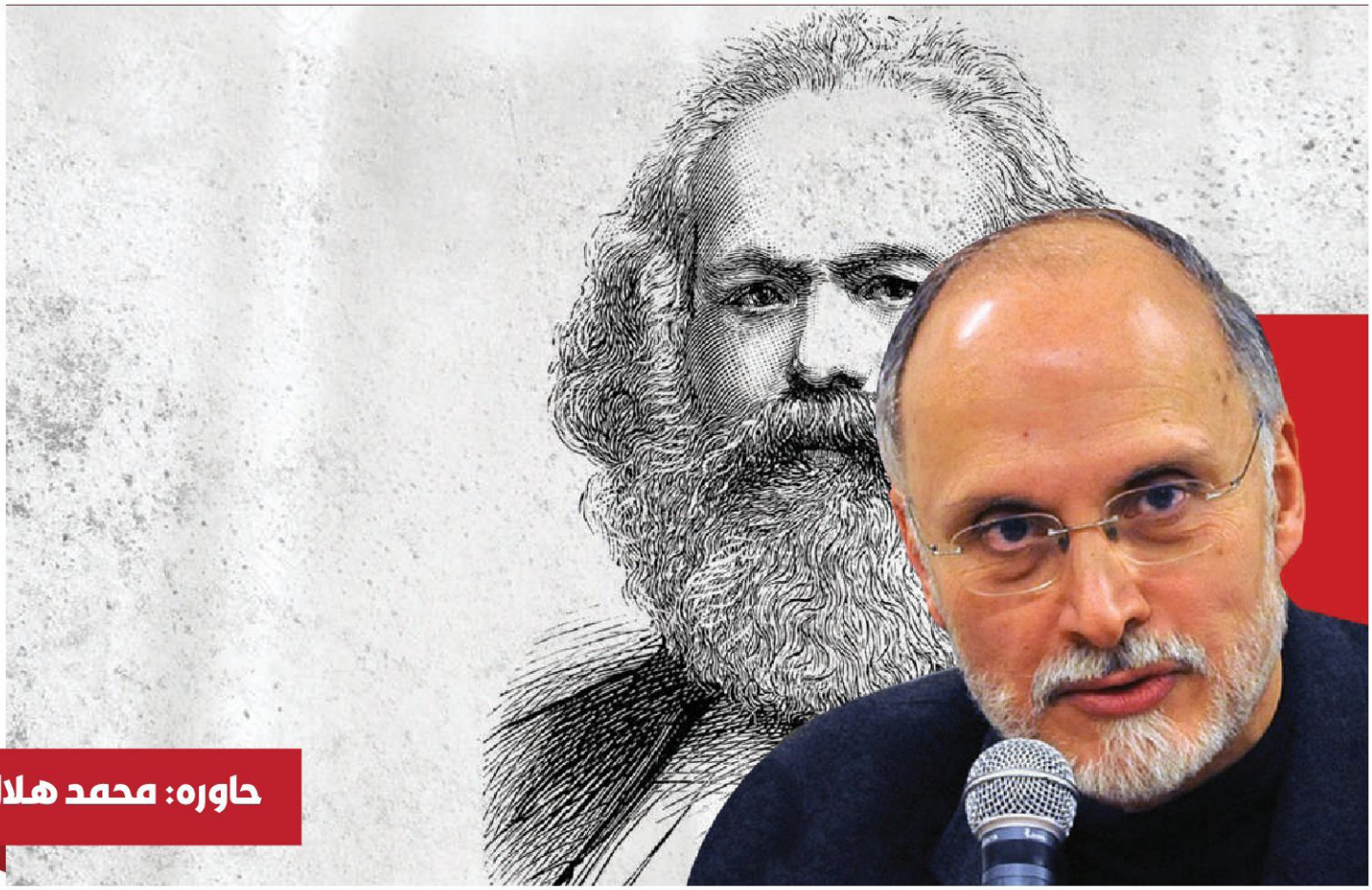

حاوره: محمد هلال

قرابة العقد من الزمان، تعيش المنطقة العربية حالة من الزخم الشعبي غير المسبوق في تاريخها الحديث. عشر سنوات من الثورات الشعبية والثورات المضادة، هتافات ضد الديكتاتورية العسكرية والأنظمة القمعية. أحلام بالديمقراطية، الحرية والعدالة الاجتماعية. صعود سريع وسقوط مدوٍ لأصحاب الإيديولوجيا السياسية الإسلامية في مصر، تفجر حرب أهلية وحرب بالوكالة في كل من اليمن وسوريا. انقسام في ليبيا وبوادر حرب إقليمية. استقرار نسبي في تونس، مبعثه الترقب والقلق من انفلات الأوضاع. عشر سنوات من الآمال والأحلام والتطلع لمستقبل أفضل، عشر سنوات من الحروب والدمار، النزوح واللجوء. رغم ذلك، رغم المخاطر المحدقة بالجميع، ورغم عدم اليقين لما ستؤول إليه الأوضاع حال انفجار الجماهير في الشوارع والميادين، تتوالى الموجات الثورية موجة تلو أخرى. في الأولى بداية من العام ٢٠١١ تونس، مصر، ليبيا، سوريا، اليمن، والبحرين. وفي العام الماضي، العراق، لبنان، الجزائر والسودان.

عشر سنوات من الشعارات اليسارية، الحرية، الخبز، العدالة الاجتماعية. عشرات الملايين من المتظاهرين في الشوارع والميادين ضد الديكتاتورية والفساد وسياسات الإفقار والرجعية، نساء يحلمن بالحرية والمساواة مع الذكور في الأجور والتعليم والمواريث وشغل الوظائف العامة، أقليات عرقية ودينية تحلم بالتمثيل السياسي في البرلمانات والحكومات المركزية. شباب في العشرينيات من أعمارهم يحلمون بمستقبل أفضل.

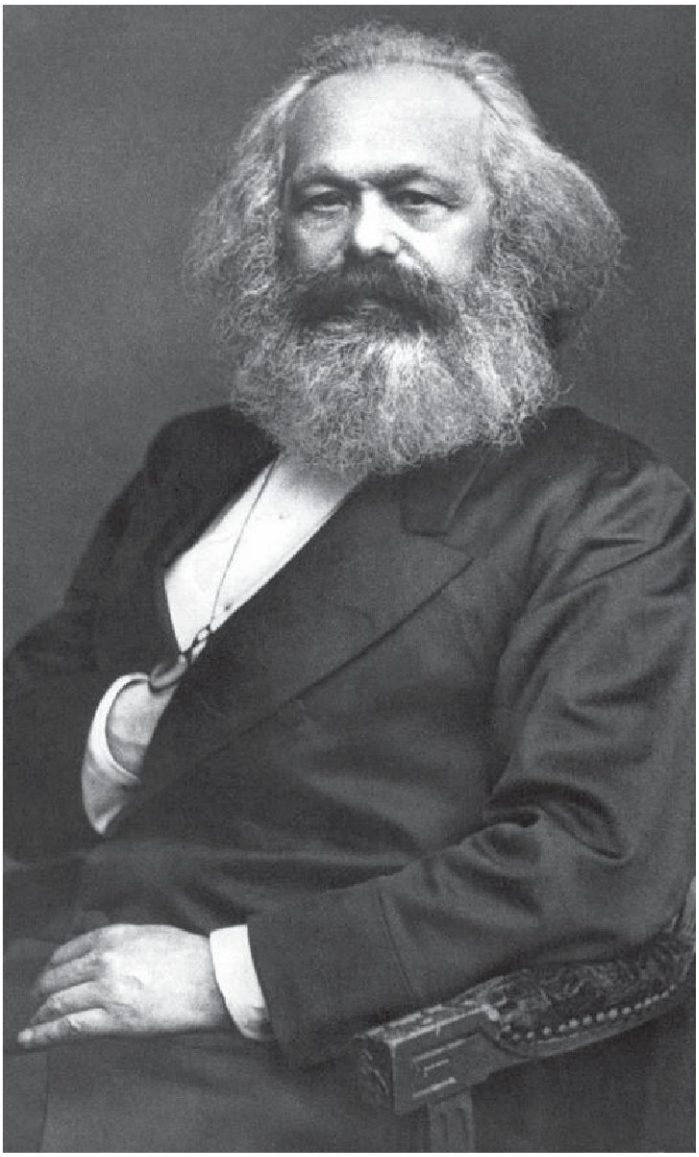

عشر سنوات وبيئة خصبة للفكر اليساري كي يزدهر. يطرح رؤاه التقدمية، يكتسب الشعبية، ينظم صفوفه ويطرح للجماهير بديلا عن قطبي الثورة المضادة، العسكر والإسلاميين. يطرح بديلا شعبيا تقدميا ذو رؤية ومشروع اجتماعي سياسي واقتصادي. عشر سنوات ونحن "في انتظار جودو".

في انتظار اليسار العربي الذي لا يأتي كان لزاما علينا أن نتساءل عن واقع اليسار العربي؟ لماذا فشل في الظهور وتنظيم الحراك الشعبي؟ أين هو من التيار الشبابي العالمي؟ هل تشكل أزمة كورونا فرصة لليسار كي يطرح رؤاه وبدائله عن النظم النيوليبرالية الحاكمة؟

للوقوف على إجابات عن تلك الأسئلة وغيرها، التقت "مواطن" بمؤلف (الشرق الملتهب: الشرق الأوسط في المنظور الماركسي)، (الماركسية والدين والاستشراق)، (الشعب يريد: بحث جذري في الانتفاضة العربية) و(انتكاسة الانتفاضة العربية) الباحث والأكاديمي البروفيسور جلبير الأشقر الأستاذ في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية (SOAS) في جامعة لندن وكان معه هذا الحوار:

- ليست الماركسية إطارا فارغا يمكن ملؤه بما يشاء كل فرد، بل لها ثوابت في المفاهيم والقيم.
- هناك حلقات ماركسية مختلفة عن النمط الستاليني حاولت الظهور في المنطقة، لكنها لم تتمكن من الخروج من الهامش بالرغم من الفرصة التي وفّرها "الربيع العربي".
- استطاع الحراك الشبابي في السودان أن ينظم نفسه بشكل تنظيمي ينبذ المركزية ويحرص على الأفقية دون أن يعني ذلك نبذ التنظيم برمّته.
- منذ عام ٢٠١١، دخلنا في "سيرورة ثورية طويلة الأمد" ستمتد لسنوات عديدة بل عقود؛ فبعد الربيعين سيأتي ثالث ورابع.
- الإسلام لا هو "الحل" كما يرى الإخوان ولا هو "المشكلة" كما يرى بعض خصومهم. المسألة ليست مسألة دين، بل مسألة برامج اجتماعية واقتصادية وسياسية يمكن أن يلتقي حولها المؤمنون وغير المؤمنين.
- لو كان للحراك قدرة على الاستيلاء على السلطة لانتقل من احتلال الميادين إلى احتلال مراكز السلطة.

**1- في حديث لموقع "نواة" التونسي، وصفت الماركسية في البلدان العربية بأنها "ماركسية محنّطة"، فكيف ترى واقع اليسار العربي اليوم عموما؟**

الماركسية العربية محنّطة بمعظمها لعدة أسباب يعود أهمها إلى تكوينها التاريخي، إذ سيطر على ما يسمّى بالماركسية في المنطقة العربية، لفترة طويلة جدا، نمط من "الماركسية" محنّط بالأصل، هو ما سمي "الماركسية السوفييتية"، أو ما يمكن تسميته بالستالينية وهي مسخ للماركسية. هناك استثناءات بالتأكيد، فهناك مساهمات ماركسية عربية خلاقة في المجال البحثي، مع أن بعضها كُتب في الخارج بلغات غير العربية كنتاجات سمير أمين أو أنور عبد الملك. كما هناك مساهمات تطورت من ضمن نطاق الحركة الشيوعية العربية، أبرزها وأهمها مساهمة مهدي عامل بما تميز به من فكر خلاق ومسعى إبداعي. لكن الاستثناءات تؤكد القاعدة، فبشكل عام تميزت الحركات السياسية المنظمة التي ادّعت الماركسية في المنطقة العربية بالسطحية والابتذال. هذه الضحالة تساهم في تفسير الإفلاس الذي وصلت إليه الجماعات التي تدّعي النطق باسم الماركسية في المنطقة العربية في نهاية القرن العشرين.

ولا تزال رواسب تلك الماركسية المحنّطة متفشية حتى الآن في المنطقة، تتجلى من خلال المواقف المضادة لبعض الثورات التي قامت في إطار "الربيع العربي"، ومنها الثورة السورية على الأخص. فقد رأينا الكثير من أدعياء الماركسية واليسار يدعمون النظام السوري بالرغم من أنه قائم على بطش واستغلال فاحشين. فنحن أمام حالات تدّعي الماركسية، لكنها بعيدة جداً عن جوهرها. ولا أقول ذلك من باب الادّعاء باحتكار الماركسية الأصيلة، لكن هناك فرق واضح بين أن تدّعي احتكار التفسير الصحيح الوحيد لمنظومة فكرية معقدة، وبين أن تحدد الأطر الفكرية التي تتحرك ضمنها هذه المنظومة الفكرية والتي يمكن للنقاش أن يدور في إطارها

تحدد الأطر الفكرية التي تتحرك ضمنها هذه المنظومة الفكرية والتي يمكن للنقاش أن يدور في إطارها. فليست الماركسية إطارا فارغا يمكن ملؤه بما يشاء كل فرد، بل لها ثوابت في المفاهيم والقيم، والحال أن قيم الديمقراطية والحرية والمساواة قيم أساسية في فكر ماركس وتشكل مناقضتها خروجا عن الماركسية، مهما ادّعى الخارجون.

**2- فشل اليسار في انتهاز فرصة ثورات الربيع العربي كي يصبح قادرا على تعبئة الفقراء والمهمشين، فما الأسباب التي أدّت إلى هذا الفشل؟ لماذا فشل اليسار في "أن يكون يساريا" على حد قولك؟**

السبب هو ما ذكرته من ثقل التقليد السوفييتي الستاليني في المنطقة العربية، الذي أدّى بالأحزاب الشيوعية العربية في الكثير من الأحيان إلى دعم الدكتاتوريات. فقد رأينا الحزب الشيوعي السوري يشارك في حكومة نظام آل الأسد، والحزب الشيوعي العراقي يشارك في حكومة النظام البعثي، والحزب الشيوعي المصري ينصهر في الاتحاد الاشتراكي، الحزب الحاكم في العهد الناصري. فإن كافة هذه الأحزاب "الشيوعية" قد ضربت عرض الحائط بالحرية والديمقراطية اللتين يفترض بماركسيين حقيقيين أن يقفوا في طليعة النضال من أجلهما. وفي الحقيقة، كيف تكون أطراف ما من دعاة الديمقراطية الصادقين وهي تتذيل بالأصل للنظام البيروقراطي البوليسي الذي كان قائما في الاتحاد السوفييتي؟

بالطبع، هناك حلقات ماركسية مختلفة عن النمط الستاليني حاولت الظهور في المنطقة، لكنها لم تتمكن من الخروج من الهامش بالرغم من الفرصة التي وفّرها "الربيع العربي". وكانت تلك الفرصة كبيرة: في مصر مثلا، تميزت "ثورة ٢٥ يناير" ٢٠١١ بتقدمية المنحى العام لشعاراتها والحراك الشبابي.

طبعا، كان هناك أكثر من تيار سياسي داخل الحركة الشعبية، لكن التيار الشبابي المبادر والمحرك للأحداث بين٢٠١١ و٢٠١٣ كان ذات منحى يساري ولو بصورة عفوية أكثر منها متبلورة أيديولوجيا. وقد رأينا تعبيرا سياسيا عن هذا التيار الشبابي في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية المصرية لعام ٢٠١٢، تجلى بالتصويت لحمدين صباحي الذي مثّل آنذاك برنامجا يساريا ديمقراطيا ووطنيا وحصل على المركز الثالث في عدد الأصوات بما كاد يضاهي ما حصل عليه مرشح الفلول ومرشح الإخوان. كان ذلك تعبيرا عن وجود طاقة شعبية تقدمية كبيرة وقف الشباب في طليعتها بقيم طالما مثلها اليسار، كالتي لخصها شعار "عيش، حرية، عدالة اجتماعية".

كل ذلك تم بغياب أطر منظمة أو ضعفها الشديد، وباللجوء إلى استخدام وسائط التواصل الاجتماعي التي سمحت بالتعويض جزئيا عن هزالة الشبكات التنظيمية الفعلية. سمحت تلك الوسائط بتنظيم التظاهرات وسائر أساليب الحراك، لكنها لم تسمح بالذهاب إلى أبعد من ذلك في فرض المطالب الشعبية سواء بالانتخابات أو بالأساليب الثورية. وبما أن قوى اليسار عجزت عن تنظيم الحراك في "الربيع العربي" الأول لعام ٢٠١١ في كافة ساحاته، كانت النتيجة أنه جرى تهميش التيار الشبابي الذي بادر بالثورة وتهميش التوجهات التقدمية، فغلب على المشهد السياسي في شتى الساحات الصراع بين قطبين مضادين للثورة هما النظام القديم والإخوان، وقد اتخذ هذا الصراع أشكالا شتى في مختلف البلدان.

### 3- لماذا يعجز اليسار عن شق طريق ثالث بين قطبي الثورة المضادة، أي الأنظمة الحاكمة والإسلاميين؟

تتعلق الإجابة عن هذا السؤال بسؤالك السابق، إذ إن الشرط الأول لتمكن اليسار من القيام بمثل هذا الدور إنما يكمن في أن يكون اليسار يساريا حقا كي يستطيع أن يجسّد على الساحة القطب الثالث، أي القطب الثوري، في وجه قطبي النظام والإخوان. لكن الظروف تبدلت كثيراً بين "الربيعين" الأول والثاني. ففي عام ٢٠١١، كان مثلث "الثورة-الإخوان-النظام القديم" هو الوضع السائد في البداية في ساحات "الربيع العربي"، إلى أن جرى تهميش التيار الثوري خلال عامين بحيث اقتصر الصراع على القطبين المضادين للثورة.

أما في "الربيع العربي الثاني" لعام ٢٠١٩ الذي شمل السودان والجزائر والعراق ولبنان، فنلاحظ غياب دور بارز للتيارات الدينية المتزمتة يناهز دورها في الربيع الأول. بل نلاحظ أن التيارات الدينية هي جزء لا يتجزأ من السلطات التي هبّت ضدها الانتفاضات في البلدان الأربعة، وهذا فارق نوعي. ففي السودان كان حكم البشير حكما عسكريا متعاونا مع التيارات الدينية، وفي الجزائر تعاون الإخوان مع حكم بوتفليقة بما أفقدهم أي مصداقية، وفي العراق ولبنان فإن الجماعات الدينية المسلحة التابعة لإيران هي أهم أركان النظام. لذلك، فإن التيار الثوري لم يكن معرضا للوقوع في فخ التحالف مع أحد القطبين المضادين للثورة ضد الآخر مثلما حصل خلال "الربيع العربي" الأول. وهذا نتيجة طبيعية لإخفاق تلك التجربة الأولى إذ إن السيرورات الثورية هي سيرورات تراكمية من حيث الخبرة السياسية، وقد أدركت القوى الثورية خطورة تذويب هويتها.

بيد أن معضلة التنظيم تبقى قائمة، أي مهمة تنظيم الحالة التقدمية العفوية الشبابية والشعبية. في الجزائر مثلا، كان حراك العام الماضي مثيرا للإعجاب، لكنه بقي عاجزا في وجه الجيش بغياب جهة تستطيع أن تتكلم باسمه. ولا أقصد هنا إطارا تنظيميا هرميا، بل أي شكل من أشكال التنسيق المنظم القادر على النطق باسم الحراك الشعبي. هذا الأمر ذاته لم يتوفر في لبنان والعراق بما يفسر تعثر هاتين الانتفاضتين حتى الآن. أما الاستثناء الوحيد الذي يشكل تجربة شديدة الأهمية، فهو السودان حيث استطاع الحراك الشبابي أن ينظم نفسه عن طريق "لجان المقاومة" التي تضم أعدادا كبيرة وذلك بشكل تنظيمي يتميز بنبذ المركزية لتفادي تكرار سوء التجارب الحزبية المركزية التقليدية التي أفضت جميعا إلى البيروقراطية والمركزية السلطوية. بل يحرص الحراك الشبابي السوداني على الأفقية دون أن يعني ذلك نبذ التنظيم برمّته، وقد أوكلت "لجان المقاومة" دور قيادة الحراك الشعبي السياسية إلى "تجمع المهنيين السودانيين"، مع إبقاء رقابتها عليه. ويشكل الطرفان مجتمعين العمود الفقري للثورة السودانية التي لا تزال تجتاز مرحلة انتقالية محفوفة بالمخاطر.

هناك إذا فروقات نوعية بين الربيعين في تفوق الثاني على الأول بالمضامين السياسية وتفوق الحالة التنظيمية في السودان على كل الانتفاضات الأخرى. وسوف نرى ماذا سيأتي، لكن المهم هو أننا دخلنا منذ عام ٢٠١١ وعلى صعيد المنطقة العربية بأسرها فيما أسميته "سيرورة ثورية طويلة الأمد" ستمتد لسنوات عديدة، بل عقود. فبعد الربيعين سيأتي ثالث ورابع، ولو استمرت التجربة على تلك الصورة التراكمية والتصاعدية نوعيا، سوف يبقى الأمل بتحقيق التغيير المنشود في نهاية المطاف.

**4- الاستشراق الكلاسيكي والاستشراق المعكوس هما الفكرتان المسيطرتان على عقول أغلب المثقفين العرب، فكيف نخرج من فكرة أن الدين هو جوهر الهوية الإسلامية لنتمكن من قراءة الدين في ضوء الاجتماع والتاريخ؟**

كما أكدت أكثر من مرة، فإن الاسلام لا هو "الحل" كما يرى الإخوان ولا هو "المشكلة" كما يرى بعض خصومهم. المسألة ليست مسألة دين، بل مسألة برامج اجتماعية واقتصادية وسياسية يمكن أن يلتقي حولها المؤمنون وغير المؤمنين.

فإن أنظمة القهر الاجتماعي والاقتصادي يمكن أن تكون علمانية أو دينية أو في منزلة بين المنزلتين، ويمكن، بل ينبغي، أن تجري مواجهتها ببرامج تحررية يلتقي عليها طيف واسع من القوى، من اليساري الماركسي إلى الإسلامي التقدمي القابل بفصل الدين عن الدولة. فالمسألة ليست مسألة دين، بل مسألة أهداف محددة في الحرية والديمقراطية والقضايا الاجتماعية والاقتصادية، تُبنى عليها الجبهات والحركات التي تجمع كل الذين يؤيدونها مهما كانت عقائدهم في شأن الدين. هذا ولا بد للحرية التي ينبغي تحقيقها أن تتضمن حرية المعتقد كركن أساسي من أركانها، وهذه الأخيرة تشمل حرية الإيمان على أنواعه وكذلك حرية الإلحاد.

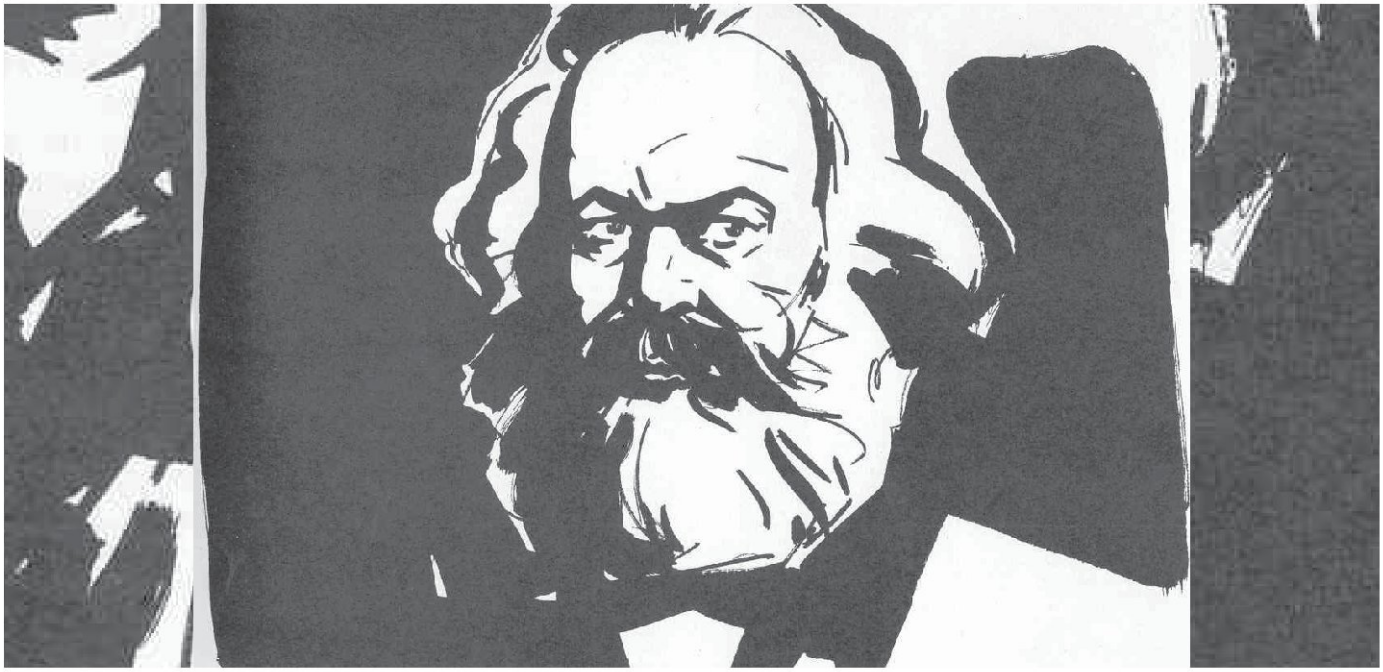

**5 - يعمل شباب أوروبا وأمريكا، على المستويين النظري والعملي على صياغة حركة ثورية جديدة مناسبة لزمننا الراهن. فما الذي يمنع شباب اليسار العربي، في زمن الثورة الرقمية ووسائل الاتصال الحديثة، من أن يشاركوا في هذه الصياغة والالتحام بالتجذر الشبابي العالمي؟**

منذ الربيع العربي الأول والحراك الشبابي يتميز باستخدام التكنولوجيا والأدوات الرقمية للتواصل وهو متأثر بثقافة عالمية شبابية تقدمية، رأيناها تبلغ ذروة في الآونة الأخيرة تمثلت في عولمة حركات احتجاجية انطلقت من الولايات المتحدة. هذه مثلا حال حركة "أنا أيضا-Me too" لمكافحة التحرش الجنسي، وكذلك حركة "حيوات السود مهمة- Black lives matters" ضد العنصرية التي فجّرها مقتل جورج فلويد. وكان للمثال الذي قدمه "الربيع العربي" في عام ٢٠١١ وقعٌ عالمي مماثل، من خلال النموذج الذي شكله احتلال ميدان التحرير في القاهرة للعالم أجمع، وقد استوحت منه حركات شتى منها حركة "احتلوا-Occupy" التي انتشرت في الولايات المتحدة.

لكن مرحلة الميادين التي اشتهرت منطقتنا بها هي مرحلة أولية ولا تشكل نموذجا كاف لتغيير السلطة. فما معنى احتلال ميدان؟ معناه الضغط على السلطة من أجل تغيير من داخلها، ولو كان للحراك قدرة على الاستيلاء على السلطة لانتقل من احتلال الميادين إلى احتلال مراكز السلطة. فإن احتلال الميادين استراتيجية سلبية، والبقاء عند حدودها دليل على عجز. إن الثورة بحاجة إلى أكثر من ذلك، تتطلب حراكا شعبيا منظما، مؤطرا، قادرا على الانتقال مما يسمى حرب المواقع إلى حرب الحركة أو المناورة، مستهدفا مراكز السلطة. هذا غير موجود الآن في منطقتنا، غير أن الحالة السودانية قطعت شوطا كبيرا في هذا الاتجاه.

**6- في ظل أزمة كورونا والصعوبات التي تواجهها المجتمعات فيما يتعلق بقدرة النظام الصحي وتوفير الاحتياجات الأساسية للمواطنين، تنضاف إليها الخسائر الاقتصادية التي ستغطيها الدولة في النهاية، هل ترى أن الأزمة تظهر عوارا كبيرا في النظام الرأسمالي بصيغته النيو ليبرالية؟**

كوفيد-١٩، الجائحة التي نحن بصددها، هي نتاج للعولمة بمعنى الازدياد الكبير في حركة الناس والبضائع على النطاق العالمي، لكنها بالدرجة الأولى نتاج للحضارة الانتاجية الصناعية بمرحلتها القصوى وما تسببت به من تجنّ للبشر على الطبيعة وعلى البيئة. وفي هذا المجال،

فإن الاتحاد السوفياتي هو الآخر ساهم في خلق شروط الأزمة والحال أن شروط البيئة مزرية في روسيا الحالية، والصين التي ليست نيوليبرالية هي من كبار الملوِّثين.

فيروس كورونا هو رد فعل الطبيعة على البشر الذين خلقوا أسباب ظهور أوبئة جديدة وانتشارها من خلال تجنيهم على الطبيعة. لقد بدأت الحكومات تدرك خطورة المسألة البيئوية وتهتم بها منذ بداية قرننا الراهن، لكن ما اتفقت عليه وما نفذته حتى الآن يبقيان دون المطلوب بكثير. وقد شاهدنا قبل الجائحة صعودا هاما للوعي البيئوي لدى الشبيبة وهو أمر جيد جدا، ويمكن أن نتوقع ازدياد هذا الوعي بصورة كبيرة في ضوء الجائحة وآثارها. ولا بد لهذا الوعي من أن يصطدم بالنيوليبرالية لأن المطلوب لإنقاذ كوكبنا يتناقض بصورة حادة مع النيوليبرالية التي تقوم على حرية التجارة وانتقال الرساميل ومبدأ الربح كمسيّر أوحد.

**7-هل سوف يتجه العالم بعد انتهاء أزمة كورونا يسارا؟ على الأقل في توفير الاحتياجات الأساسية من صحة ومأوى وغذاء ودفء؟**

أدت السياسات النيوليبرالية إلى تقليص النفقات العامة بما فيها نفقات الصحة، لاسيما في البلاد الأكثر نيوليبرالية كبريطانيا والولايات المتحدة، بما عمق الهوة بين الأغنياء والفقراء بشكل خطير في المجال الصحي. غير أن الجائحة أظهرت للأغنياء أن الأوبئة لا تقف عند الحدود الفاصلة بين الثري والفقير. طبعا، يتمتع الأغنياء بسبل علاج أعظم بكثير مما لدى الفقراء، لكن أمام مرض لا علاج له كما هو حتى اليوم كوفيد-١٩،

يتساوى الجميع. فبالتالي، أدرك الرأسماليون أن السياسة النيوليبرالية في المجال الصحي التي اتبعوها منذ عقود إنما انقلبت عليهم من خلال تيسيرها لاندلاع أزمة اقتصادية هي الأخطر منذ قرن، لو استثنينا مرحلة الحرب العالمية الثانية. هكذا فقد أظهرت الجائحة إلى أي مدى شكلت النيوليبرالية كارثة على البشرية، لكن هذا لا يعني أنها ستضمحل من تلقاء نفسها بسبب الجائحة. فقد صار أكيداً أن الحكومات سوف تزيد كثيرا من نفقات الصحة العامة، بيد أنها سوف تبقي على الأوجه الأخرى للسياسات النيوليبرالية في سائر المجالات. ولن تسقط هذه السياسات سوى إذا تطورت الحركات السياسية المناهضة لها وتمكنت من تغيير الأنظمة.

**8- هل تستغل الأنظمة، الشمولية وغير الشمولية، أزمة كورونا من أجل فرض رقابة أكبر على مواطنيها؟ رقابة قد تهدد مفهوم الحرية؟**

شكلت الجائحة ضربة للنضالات التي كانت جارية في شتى البلدان، لكن الأمر لم يدم طويلا. الأخطر من الجائحة هو ما كشفته من احتمالات استخدام التكنولوجيا الحديثة في تشديد الرقابة على الناس. فإن التكنولوجيا التي باتت لدينا في عصرنا يمكن تشبيهها بتلك التي تخيلها جورج أورويل والتي تسمح للسلطة أن تراقبك أينما ذهبت. وقد بات العمل السياسي السري شبه مستحيل مع حيازة الأنظمة على تلك التكنولوجيات. لكن هذه التكنولوجيا سيف ذو حدين، إذ أمكن استخدامها في النضال ضد السلطة كما رأينا في حالات كثيرة. ومهما حاولت السلطات ضبط المجال الإلكتروني، فإن ذكاء الشباب تمكن من خرق المراقبة. فليس المستقبل كابوسا بالضرورة، ولا تزال الاحتمالات والطاقات تسمح بالأمل بتغيير تقدمي، لكنه يرتهن بقدرة الحركات الثورية على ابتكار أشكال التنظيم الملائمة لعصرنا.

تداعيات

الاقتصاد الخليجي ما بعد أزمة كورونا ..

# هل يتجه للتقشف والتوطين؟

في ظل استمرار جائحة كوفيد ١٩ العالمية لأكثر من ستة أشهر، ومع ضبابية الوصول لنهاية تلك الأزمة العالمية، تطرح المخاوف الاقتصادية العديد من التساؤلات، كيف نتجاوز تلك المحنة، وما مصير العالم بعد انتهاء تلك الأزمة؟ ما هي تداعيات تباطؤ الاقتصاد العالمي؟ هل تتأثر المستويات المعيشية للمواطن الخليجي؟ ما الآثار المترتبة عن تلك الأزمة في سياسات دول الخليج العربي الاقتصادية؟ هل تتجه الحكومات الخليجية إلى اليسار في سياساتها الاقتصادية مستقبلا؟

للوقوف على تصور مستقبلي لما يمكن أن تكون عليه حالة بلادنا وأوضاعنا الاقتصادية، ولمحاولة توقع الآثار المترتبة على الاقتصاد والمواطن الخليجي، التقت مواطن كلا من المؤلف والباحث وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت د. محمد الرميحي، الباحث والمفكر أحمد سعد زايد، والكاتب الصحافي عبدالعزيز القناعي.

## د. محمد الرميحي:

هيكلية التركيبة السكانية هي مشكلة قديمة ومتجددة في دول الخليج العربي.

المواطن الخليجي سيواجه الكثير من العوز بأشكال مختلفة.

## عبد العزيز القناعي:

أصبح المواطن الخليجي يشعر بأهمية الأعمال المهنية والفنية التي لم يكن يمارسها في السابق.

الدول الخليجية لم تخرج عن الإطار العام الاقتصادي الذي قامت به الدول الغربية الأخرى.

## أحمد سعد زايد:

المستقبل سيرسم صورته على شكل العمالة في العالم كله، ليس فقط العمالة الوافدة إلى دول الخليج.

## أثر انكماش الاقتصاد العالمي في حياة المواطن الخليجي بعد أزمة كورونا

يرى د. محمد الرميحي أن البرامج الاقتصادية الخليجية سوف تتأثر كثيرا بهذه الجائحة، وأن ميزانيات الدول الخليجية تصدت للمشكلة بأشكال مختلفة، فمثلا لجأت بعض الدول للضرائب غير المباشرة وأخرى لتخفيض في ميزانيات الوظائف والأجور، إضافة لتسريح بعض العمالة. هذه الجائحة ستؤثر في اقتصاديات العالم ككل، ولأن الدول الخليجية تعتمد في أساس اقتصادها على بيع الغاز والنفط، وهاتان السلعتان كمدخلات إنتاج سوف تتأثران بشكل كبير في الطلب عليهما، وتحتاج لمرحلة طويلة من التعافي حتى ترجع أسعارها لما كانت قبل الجائحة، أيضا ستتنافس الدول المنتجة فيما بينها في تخفيض الأسعار بحثا عن توسيع حصتها السوقية، كل تلك العوامل ستؤثر بشكل كبير في الاقتصاد الخليجي، وبالتبعية حياة المواطن الخليجي.

من جانبه يعتقد عبدالعزيز القناعي أن المواطن الخليجي، بعد اكتشاف النفط في المشيخات الخليجية المتناثرة، يعيش في حالة من البحبوحة والكسل والدعة والرفاه المادي، بعد سنوات طويلة من شظف العيش وصعوبة الحياة وتقشف الحالة الاقتصادية وتداعياتها الاجتماعية على نمط السلوك والأخلاق والتعايش المجتمعي، قبل اكتشاف النفط وتواجد الشركات النفطية والصناعات الغربية في منطقة الخليج اليوم، وبعد التقشف الاقتصادي وذهاب عدد لا يستهان به من الوافدين إلى ديارهم، أصبح المواطن الخليجي يشعر بأهمية الأعمال المهنية والفنية التي لم يكن يمارسها في السابق

وأيضا اهتم جيل الشباب بالأعمال التطوعية وبذل الجهود الجماعية لمواجهة جائحة كورونا بعد أن استشعرت الغالبية من الشعوب الخليجية أن هذا الفيروس يشكل تهديدا فعليا على أنفسهم ومجتمعاتهم وأصدقائهم وعوائلهم؛ لهذا أصبح الوعي الصحي مرتفعا والتضامن الاجتماعي عاليا. إلا أننا نأمل ألا يذهب هذا الوعي وتلك الثقافة عندما تنتهي جائحة كورونا. فالتأصيل لقيم التعاون والتطوع والتقشف، أمور مهمة جدا للشعوب المتقدمة ونأمل أن يتم غرسها في المناهج ووسائل الإعلام حتى تكون ثقافة مجتمعية مستمرة.

## استعداد دول الخليج لتقديم حلول بديلة في حال توقف الكثير من قطاعات الأعمال

يعتقد د. محمد الرميحي أن دول الخليج لم تكن جاهزة لمثل تلك الأوضاع، هناك بعض الخطط التي وضعت جزئيا في الإمارات والسعودية منذ سنوات قلائل للاستغناء عن الاعتماد على النفط بالتأكيد تلك الخطط تحتاج إلى وقت طويل، فوجئت الدولة الخليجية بالجائحة ولم تكن مستعدة لها، لا من حيث الوضع الاقتصادي ولا من حيث هيكل السكان ولا من الطواقم الطبية، لذلك استعانت بعض الدول بأطقم طبية من الباكستان وكوبا وأكثر من دولة. نحن الآن تقريبا في منتصف تأثير تلك الجائحة ونحتاج لأشهر لنرى ما هي الخطوات التي اتخذت حتى تخرج الدول من هذه الجائحة بشكل أفضل.

أما عبد العزيز القناعي فلا يرى أن الدول الخليجية لم تخرج عن الإطار العام الاقتصادي الذي قامت به الدول الغربية الاخرى.

فقد قدمت المشيخات الخليجية حزمًا اقتصادية وقرارات اقتصادية لمساعدة الشركات المتعثرة والمشاريع الصغيرة، كما قامت أيضا بتأجيل سداد القروض الاستهلاكية والعائلية للأفراد والشركات. بينما ما يجب على الدول الخليجية الآن وبشكل جاد، هو التفكير خارج الصندوق كما يقال؛ إذ عليهم بناء الثقة بالمواطن والاستغناء بقدر الإمكان من خدمات الوافدين. كما أن عليهم توطين الوظائف الإدارية بالمواطنين وتسهيل تعليمهم وتثقيفهم وإتاحة الفرصة لهم للتعلم وبناء تجاربهم الإبداعية. إن الحلول البديلة عن توقف العديد من قطاعات الأعمال بسبب أزمة كورونا هي مسؤولية سياسية واجتماعية في المقام الأول. فلا يمكن بناء الفضاء العام للحلول البديلة إلا اذا قامت الحكومات الخليجية بدعم الاستثمار الوطني وتشجيع الصناعات الوطنية وإزالة العراقيل البيروقراطية من الوزارات الحكومية والاتجاه إلى الحكومة الإلكترونية. بالإضافة إلى الاستعانة ببيوت الخبرة العالمية من أجل التدريب وليس من أجل القيام بالوكالة عن المواطن الخليجي. بينما على الجانب الآخر، ومن الناحية الاجتماعية، فعلى الحكومات الخليجية أيضا دعم ثقافة الانفتاح والتعاون والتطوع من خلال دعم مؤسسات المجتمع المدني وتشريع القوانين الداعمة للتعليم والتثقيف والتوطين. ربما وما أراه اليوم بعد جائحة كورونا، فإن المشيخات الخليجية تعي هذا الأمر وقد فهمت درس كورونا بشكل جيد، لكن ما نخشاه أن تعود حليمة لعادتها القديمة، فالتجارب الحكومية الخليجية منذ القدم، تتصرف وفق ردات الفعل فقط، ولا تبني الهياكل والبنى الفكرية والسياسية والاقتصادية لإدامة الحكم الرشيد والحكومات الفاعلة والمجتمعات المدنية الحية.

## مدى احتمال المواطن الخليجي لسياسات التحمل الاقتصادي

يرى أحمد سعد زايد أن المواطن الخليجي يستطيع التغلب على تبعات أزمة كورونا الاقتصادية، إذ إن نسبة كبيرة من المواطنين لديهم بعض المدخرات الخاصة، كما أن أغلب الدول الخليجية لديها احتياطات نقدية كبيرة، بالتأكيد مستوى الرفاه سيتأثر، لكن في ظل تلك الأزمات ما يهم هو توفير الاحتياجات الأساسية حتى يتعافى الاقتصاد من جديد.

من جانبه يعتقد د. محمد الرميحي أن المواطن الخليجي سيواجه الكثير من العوز بأشكال مختلفة، وستختلف درجة التأثير في المواطن من دولة لأخرى، فلن يعاني المواطن في الدول ذات الاقتصاديات الأقوى مثل المواطن في الدول ذات الاقتصاديات الأضعف. لكن بشكل عام سيكون التأثير متعدد الجوانب. من ناحية، نقص العمالة الوافدة التي بدأت تخرج أو تُخرّج، ستؤثر على زيادة ثمن السلع والخدمات المقدمة للمواطن الخليجي كما سيتأثر المؤجر من أصحاب العقارات لأن الكثير منهم سيفقد المستأجرين. فكما نلاحظ تباطؤ السوق المحلي بدليل التنافس وتقديم تخفيضات كبيرة في السلع المعمرة، كل هذا سيظهر بوضوح في الشهور الستة القادمة.

ويردف النهاري: الدين قد لا يتعارض مع مفهوم العلمانية بشكل نظري، ولكنه عمليا يختلف، بل ويتعادى معها من خلال مفهوم عدة قرون، ولا بد أن يجد نفسه متعاركا، مع من يطبقون الأيديولوجيات السياسية، والدينية، لذلك أعتقد أن الشرق الأوسط، لا، ولن يكون مهيئا لمثل تطبيق العلمانية، قبل مرور عدة قرون أخرى، وقد نجد العلمانية بعدها، متلبسة بعدة أيدلوجيات أخرى، تجعلها لا تمت لمفهومها الحقيقي بصلة.

المشروع التحديثي في دول الخليج العربي خاصة المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة

يتصور فاخر السلطان بأن السعودية والإمارات، وخارج إطار المنظومة الخليجية مجتمعة، تتبنيان حداثة اجتماعية/اقتصادية تراعي عادات وتقاليد وأعراف كل مجتمع، و المشروع التحديثي في كل دولة هو جزء من هذه الحداثة، لذلك تختلف بعض التفاصيل في التجربتين. لكن يجب الإشارة هنا إلى أن المشروعين تأثرا بعوامل سياسية عدة، يأتي على رأسها تفاصيل التغيير السياسي الذي سعت إليه الحِراكات العربية. فالدولتان تأثرتا بمشروع الإخوان المسلمين الذي سعى إلى بسط هيمنته على مجتمعات الحراكات والنفوذ إليها محاولا أن يستثمرها ويفرض وجوده السياسي/الديني عليها. لذا برزت الحداثة الاجتماعية والاقتصادية في السعودية والإمارات وهي منعزلة عن الحداثة السياسية، أو بعبارة أخرى، كانت الحِراكات سببا،

حتى الآن، في رفض الدولتين لأي تغيير في أنظمة الحكم أو في آلية وتراتبية تنظيم القرار السياسي. وهذا أظهر الدولتين وكأنهما في مواجهة ليس مع مشروع الإخوان المسلمين وإنما مع مشروع الحداثة السياسية. غير أن هناك أصواتا تتحدث عن بروز قناعة داخل قيادتي الدولتين تطالب بفتح ملف الحداثة السياسية والبدء، تدريجيا، بأنشطة تمثل عناوين لها، وقد تتعلق بتبني إصلاحات سياسية متواضعة لكنها ستتدرج إلى أخرى تتطلّبها الحداثة الاجتماعية/الاقتصادية.

من جانبه يعتقد شاهر النهري أن: المشروع التحديثي في دول الخليج العربي يحدث ولا يحدث، وهو ما يزال متذبذبا بين العلمانية بنفس صورها ومواصفاتها، وبين نسخ معدلة، أو محرفة من العلمانية، لذلك لا أعتقد بوجود مثل هذا المشروع، الذي يعتمد على هدوء ورخاء المنطقة، ولكنه قد لا يقف أمام أي هزة سياسية أو اقتصادية عنيفة.

ويعلق أنور الرشيد عن رؤيته للمشروع التحديثي في الدولتين قائلا: في نقاش لي مع وزير خليجي سابق حول التطورات الحداثية التي تجري في دول الخليج قال: ليكن على الأقل هناك انفتاح اجتماعي فليس من المعقول ألا يكون هناك انفتاح اقتصادي ويعني هنا سيطرة النخب الحاكمة على المفاصل التجارية أما السياسي فهو أمر محرم بطبيعة الحال في دول الخليج وعليه وعلى الأقل ليكن هناك انفتاح اجتماعي حيث لا يُلاحق المرء على ملبسه ومأكله. هكذا عبر عن الحدود الدنيا لشعوب الخليج، وعليه فالحداثة ليست أبراجا زجاجية يمكن انهيارها برمية حجر، الحداثة تقاس بمدى الحرية والديمقراطية التي تتمتع بها الشعوب وليس بالطرق والسيارات والطائرات ولا حتى بأبنية الجامعات ذات البرامج التعليمية التي تخرج كتبة لامفكرين، لذلك لا حداثة في دول الخليج مطلقا أن أردنا الحقيقة لننطلق منها لآفاق المستقبل.

من جانبه صالح الشايجي يستبشر خيرا بتلك المشروعات التحديثية، ويقول: السعودية مجهولة لدى الكثيرين من المجتمعات أو الشعوب العربية حتى بالنسبة لنا في دول الخليج. لي تجربة شخصية مع السعودية في أواخر السبعينيات وقت أحداث جهيمان العتيبي واحتلاله الحرم المكي/ فقد شاركت كصحافي استقصائي، مبعوثا من الجريدة التي كنت أعمل بها وقتها، وتساءلت كيف سأذهب لمجتمع منغلق غير ودي، كانت تنتابني تلك الهواجس طوال استعدادي للرحلة، لكن وللمفاجأة حين وصلت المملكة وجدت عالما جديدا يعج بالمثقفين، حتى أنني فوجئت بكاتبات سعوديات صاحبات كتابات واعية جدا، ربما يفوق ما عهدناه في الكويت من جرأة ونحن نعتبر أنفسنا في الكويت متقدمين دستوريا وسياسيا ولدينا حريات صحافة. بالتأكيد بعد التحديثات الأخيرة في الثلاث سنوات الفائتات سيكون لهم أثر إيجابي وستتحول إلى بؤرة إشعاع منيرة ثقافيا وسنفاجأ بالتنوع والمخزون البشري السعودي. الإمارات أيضا واعدة جدا وبها مثقفون واسعو الثقافة يغنون واقعنا العربي بكتاباتهم ورؤيتهم العميقة، ويمكن أن ننظر إلى الإمارات ونقارنها قديما وحديثا حتى نتفاءل ونستبشر خيرا.

## هل تتحول المشروعات التحديثية الخليجية إلى مشروعات حداثية علمانية؟

يعتقد فاخر السلطان بأن نعم، لكنها تحتاج إلى بعض المتطلبات والشروط، من بينها قناعة حكام الخليج بالحداثة بجميع صورها، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التنموية القائمة على احترام الحرية الفردية وحقوق الإنسان وفي ثنايا ذلك تمكين المرأة. ومن بينها توسع الجانب الثقافي في وعي الطبقة الوسطى، خاصة ما يتعلق بمفهوم الحداثة واشتراطاتها الثقافية/السياسية/الاقتصادية. ومن بينها تطور وعي مختلف قطاعات المجتمع، ثقافيا، على أن التحديث هو حاجة مجتمعية، ولا يتصادم مع روح الدين بل مع فهم الدين الذي هو بعهدة رجال الدين ويمكن تغييره ليناسب الواقع، وأنه –أي التحديث– ابن العلمانية والحداثة وليس منفصلا عنهما، فلا يمكن الحديث عن الحكومة الإلكترونية بمعزل عن مفهوم العقل العلمي الحديث، ولا يمكن الحديث عن علاج لجائحة كورونا من دون خوض تجارب علمية حديثة، فيجرنا هذا إلى عناوين أخرى مثل الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان التي هي ثمار شجرة الحداثة ومفاهيمها.

على الجانب الآخر لا يعتقد أنور الرشيد في ذلك ويعلق: الحداثة تقترن بالحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ودولة قانون ودستور ودولة مدنية لا دولة دينية. كل دساتير دول منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط ومنها دول الخليج تنص دساتيرها وأنظمة الحكم بها على إسلامية الدولة، والحقيقة هي أن الدولة ليست كائنا حيا بشريا لكي يكون لها دين. المجتمع مسلم نعم ولكن الدولة يجب أن لا يكون لها دين لأنها تُظِلّ كل مواطنيها من مختلف الديانات والمذاهب وعليها أن تكفل حق كل مواطن فيها وتوفر له حق ممارسة شعائره ولا تكون تلك الحقوق لفئة من مواطنيها على حساب فئات أخرى.

## أزمة العمالة الوافدة

يرى د. محمد الرميحي أن هيكلية التركيبة السكانية هي مشكلة قديمة ومتجددة في دول الخليج العربي، هناك أشكال ودرجات مختلفة من العمالة، هامشية، غير فنية، منزلية، شبه فنية، وفنية. ولا يعتقد أن دول الخليج يمكنها الاعتماد على العمالة الفنية وشبه الفنية والمنزلية، لكن يمكن الاستغناء عن العمالة الهامشية وغير الفنية. هناك بالفعل عدد ممن فقدوا أعمالهم ووظائفهم بدأوا في المغادرة، هذا سيؤثر في شبكات توزيع البضائع وعلى شبكة العمالة في محلات البيع وربما بعض العمالة شبه الفنية. لكن فكرة استغناء دول الخليج عن العمالة الوافدة بشكل نهائي أمر شبه مستحيل، كل الدول في العالم تحتاج إلى العمالة الوافدة بأشكال مختلفة وصور مختلفة.

أما عبد العزيز القناعي فيرى أن أزمة العمالة الوافدة للكويت لاسيما العمالة المصرية بعد وصول فيروس كورونا أخذت حيزا كبيرا من النقاش والطرح دون أي رؤية اقتصادية واجتماعية وسياسية بديلة، علما بأن الحكومة الكويتية وبعض المواطنين الكويتيين من أصحاب النظرة السلبية للعمالة الوافدة يتحملان مسؤولية تلك الهجمة الشرسة على الوافدين. من الضروري أن نقول إن الوافد حين أصبح عبئا على الدولة الخليجية وخدماتها، وعلى المواطنين ورفاهيتهم، فهو بالضرورة نتاج خلل يطال الكثير من نمط المعيشة الخليجي وتراخي القوانين الخليجية وهيمنة بعض أصحاب النفوذ على حركة التأشيرات والإقامات التي تدر الملايين على أصحابها وعلى الشركات بشكل يشابه الاتجار بالبشر.

معالجة هذه الأزمة لا تكون فقط بتقليص دور الوافدين أو الاستهزاء بهم أو محاولة طردهم، فهذا عبث وعمل غير أخلاقي، لأن الكثير من المواطنين لم يرتقِ إلى القيام بأعمال الوافدين، وخصوصاً الأعمال اليدوية المهنية. وهذا لا يتحمل وزره المواطن فقط، بل أيضاً نتاج فشل التعليم المهني وغياب الدور الحكومي في دعم وتأسيس الشباب الخليجي في مجال عمل الوافدين، وقبل هذا تتحمل الأسرة الخليجية هذا الخطأ باستدامة الاعتماد على الوافد العربي أو الآسيوي في المنزل للقيام بغالبية الأعمال وإهمال تربية أطفالهم وتدليلهم ونفخ "الإيغو" الخاص بالهوية الخليجية المتعالية التي لولا أموال النفط لما كانت كذلك.

## توطين العمالة واستخدام العمالة المحلية

يعتقد د. محمد الرميحي أن توطين العمل واستخدام العمالة المحلية يحتاج لخطة طويلة المدى، فهناك نقص في التدريب الفني كما أن الثقافة السائدة لا تستسيغ القيام بالكثير من الأعمال والمهن، تلك الثقافة ظهرت مع ظهور النفط. قبل النفط كانت الناس تعمل في الخليج مزارعين وغواصين ومنتجين للحرف الصغيرة والمرأة كانت تعمل في المنزل، الآن لم تعد الأمور كذلك. أيضا أصحاب الأعمال يميلون لاستخدام العمالة الوافدة لأنها أرخص وتعمل ساعات أطول ولا يترتب عليها الكثير من الإشكالات القانونية. لكل ذلك لا يعتقد د. محمد الرميحي أن الأمر سيكون سريعا أو مباشرا.

أما أحمد سعد زايد فيرى أن المستقبل سيرسم صورته على شكل العمالة في العالم كله، ليس فقط العمالة الوافدة إلى دول الخليج، فالتكنولوجيات الحديثة ستغير أشكال العمل ومفاهيمه، ستختفي أعمال وتظهر أخرى. تقديم الخدمات والأعمال عن بعد، المزيد من المكننة واستخدام الذكاء الصناعي ستشكل عالم جديد بالتأكيد سينعكس على شكل العمالة الخليجية وافدة وغير وافدة.

# آفاق اليســـار العربـي وعطالة الأيديولوجية

عبد العزيز القناعي
صحافي وكاتب من الكويت

العدالة والمساواة والمواطنة، هم الحلم اليساري الأول قبل اليسار العربي الذي كان طفا على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية إبان الثورات الشعبية في أوروبا، مهد اليسارية، وموطن ظهور تشكيلاتها المختلفة. فاليسار، مصطلح يمثل التيار والشكل والطيف، الفكري والسياسي الذي يسعى إلى تغيير المجتمع وتحسين سبل العيش. تاريخيا، يرجع أصل هذا المصطلح إلى الثورة الفرنسية عندما أيد عموم من كان يجلس على اليسار من النواب التغيير الذي تحقق عن طريق الثورة الفرنسية، ذلك التغيير المتمثل بالتحول إلى النظام الجمهوري والعلمانية.

بينما يمثل تيار اليمين، ماهو عكس اليسار، بمعنى التأييد الفكري والسياسي والاجتماعي للملكيات والأرستقراطيات والقوميات والتقاليد. وكان ترتيب أماكن الجلوس في البرلمان، لمن يؤيد مثل هذه التوجهات في جانب اليمين داخل البرلمان. وعلى عكس التيار اليساري، كان تيار اليمين يؤمن بالطبقية، والتفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين الأغنياء والفقراء. واستمر ذلك التقليد إلى اليوم، ففي البرلمات الغربية والأوروبية طريقة الجلوس نفسها لليسار السياسي واليمين السياسي.

لكن، ومع مرور الوقت، ومع ظهور قوى سياسية وفكرية معارضة داخل تشكيلات الفكر اليساري، شهد اليسار عدة تحولات وتغيرات، مثل بروز مسميات اليسار المتطرف، الذي انضم تحت لوائه الفكر الشيوعي المتطرف. أما يسار الوسط، فقد انضم تحت لوائه الأحزاب الشيوعية الديمقراطية، وكلها ترمز وتعني اتخاذ مواقف سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة عن السائد، إلا أنها لا تخرج عن عباءة الفكر السياسي اليساري. ولم تشهد الساحة السياسية الدولية وصول الأحزاب اليسارية المتطرفة اليمينية إلى الحكم، لقلة مؤيدي التوجهات المتطرفة، ولاستقرار الدول والنظم الديمقراطية في الغرب، وخصوصا في أوروبا، حيث إن تلك الدول قائمة حاليا على التعايش والاختلاف والرفاه الاقتصادي والعدالة الاجتماعية.

ورغم ما تغير بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وبعد ثورات الربيع العربي، وما يشهده العالم اليوم بعد جائحة كورونا، إلا أن اليسار المتطرف لم يشهد فوزا ساحقا في أي انتخابات رئاسية، وإن حصل ذلك، فهو لا يعدو كونه إلا تحالفا مع تيارات الوسط لفترات محدودة لا تؤثر في شكل الحكم وتوجهه السياسي والفكري. بينما، وما نريد أن نتناوله في هذا المقال، هو اليسار العربي، وماهي نجاحاته وإخفاقاته؟ وهل شكّل فعلا التقليد الأعمى لليسار الغربي، أم انخرط في قضاياه ومشاكله العربية والقومية؟ وهل مازال اليسار العربي حلما للشباب العربي والأحزاب السياسية في خلق الثورات وإزاحة نظم الاستبداد التي يطلق عليها اليسار الرأسمالية الطفيلية؟

لقد دخل اليسار العربي، بمختلف تشكيلاته (القومية، الماركسية، الاشتراكية) إلى الوطن العربي منذ بدايات القرن الماضي، وانخرط في النضال آنذاك ضد الاستعمار وتحرير البلدان العربية من براثن القوى الغربية المحتلة لغالبية الوطن العربي. وكان اليسار العربي في ذلك الوقت، يمثل في مخيلة الشعوب العربية، المخلص والكاريزما والمهدي المنتظر في المخيال الديني، لما تحمله الأفكار اليسارية من مبادئ وقيم تحررية وديمقراطية وعدالة اجتماعية، والتحول إلى الدولة الوطنية المدنية. لكن أين اليسار العربي اليوم من يسار الأمس؟ وهل شهد اليسار العربي انتكاسات في مفاهيم الحريات والدين والعدالة الاجتماعية ودعم الأنظمة العسكرية، وغيرها من قضايا لا تزال محط نقاش وجدال أمام ما برز على الساحة العالمية من أفكار حداثية وعولمة وتقدم الرأسمالية وتفوق العلمانية وانهيار جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي القديم؟

في الواقع شكلت الأفكار اليسارية مرحلة وقتية لم تثبت جدارتها واستمراريتها في الوطن العربي، لكونها تجربة تقليدية غير منتجة، ولأنها نسخ تراثية للأفكار اليسارية الغربية. نظرا لما شاب أيديولوجية اليسار العربي من عصبية وانغلاق وجمود حول أفكارها وعدم قدرة اليساريين العرب على الفكاك من أيديوليجية الأجداد والمؤسسين. بل اتخذ بعضهم، ونكاية لما اعتبروه من تفوق العلمانية والليبرالية الغربية، في دعم الأنظمة السلطوية والدولة العسكرية، كمسار يعزز تواجدهم داخل تلك الهياكل القمعية بحجة مقاومة الوحشية الرأسمالية.

وبهذا انشغل اليسار العربي، بدلا من تحرير الإنسان العربي وترقية الوعي التحرري الديمقراطي العلماني، انشغل بمناكفة الرأسمالية والتعددية والديمقراطية، باعتبارها أدوات ليبرالية تهدف إلى السيطرة السياسية على إرادة الشعب. وانشغل اليسار العربي، في عهد الأنظمة الشيوعية والاشتراكية العربية قبل فشلها سياسيا، بمحاربة ومقاومة البرجوازية والملكيات الفردية والأسواق المفتوحة والديمقراطية الاقتصادية التي تعزز الفردية والاستقلالية والملكية، في سبيل توطين الأفكار اليسارية، في ضرورة التأميم العام وقيادة الشعوب لمصيرها وبناء الاقتصاد الاشتراكي القائم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج المجتمعية.

والمرعب في أفكار اليسارية المتطرفة أنها تعتبر الديمقراطية التعددية مجرد وسيلة للانقضاض على السلطة، وإن صناديق الاقتراع ماهي إلا وسيلة للوصول إلى السلطة وبالتالي فرض الاشتراكية على الدولة والشعب في آن واحد. وهنا تتشابه هذه الأفكار الفاشية، مع التيارات والجماعات والأحزاب الإسلامية في شيئين:

الأول، اعتبار الديمقراطية الاقتراعية مجرد وسيلة للوصول إلى دولة الخلافة الإسلامية، وثانيا، أن النظرية الشيوعية أو الاشتراكية صحيحة دائما، وأن الفشل يمكن دائما في التطبيق. وهنا غاب عن منظري اليسار والاشتراكية، مفهوم الفردانية والحريات الشخصية. فما فائدة العدالة الاجتماعية في الدولة، بينما يعيش أفرادها ومواطنوها تحت سلطة ونير الاضطهاد والتشابه والتناسخ والقمع.

في الواقع، ظل اليسار العربي يحلم باستنساخ تجربة كوبا والصين وكوريا الشمالية اليوم وقمعية جمال عبدالناصر وفاشية الاتحاد السوفيتي السابق. وأمام هذه الأحلام المزعجة، سقطت أفكار اليسارية والاشتراكية والشيوعية في مهد دولها وجمهورياتها. سقطت بعد أن ثارت الشعوب على نظام القمع والوصاية والتدمير الذاتي. سقطت بعد أن كانت أحلام الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحكم الشعب لنفسه، لم تتحقق ولم تتجاوز الشعارات المرفوعة والبيانات رقم واحد في الفكر اليساري. سقطت بعد أن انشغل اليسار العربي في تصفية الحسابات ولعب الاتفاقيات وتجاوز المثاليات. ولم تفلح تيارات اليسار العربي، على طول الوطن العربي وعرضه، من تقديم رؤى واستراتيجيات مفصلية تخدم الشعوب العربية وتطلعاتها نحو الحرية والعلمانية والمواطنة. بل انشغلت بقضاياها الخاصة وحروبها الداخلية وكيفية الاستفادة من التحالفات مع الأنظمة العربية الحالية. وحتى في قضايا الكفاح المسلح للشعوب في أمريكا اللاتينية وغيرها، وفي مواجهة إسرائيل في العصر الحديث، اختلفت التيارات اليسارية حول الطرق والوسائل. خصوصا وأن اليسار العربي شهد تحالفات سياسية مع بعض الأنظمة العربية كنظام الأسد في سوريا، وحزب البعث أيام صدام حسين، وكذلك محاباتهم للموقف السوفيتي في تقسيم فلسطين تحت الانتداب.

وحتى نكون منصفين، وقادرين على تقديم الحلول والنصائح للتيارات اليسارية والاشتراكية والشيوعية في مجتمعاتنا العربية، نقول بأن فشل اليسار العربي في تحقيق انتصاراته الأيديولوجية، قد لا يعود بالضرورة إلى عقم الحراك السياسي والاجتماعي اليساري، بل يعود بشكل كبير إلى شيخوخة أفكار اليسار وعدم قدرتها أو قدرة المشتغلين فيها، على القيام بمحاولات إصلاحية جذرية تتلاءم مع الواقع والتطورات، كما تفعل الديمقراطية والليبرالية الغربية في تصحيح أخطائها، وهو ما نشهده اليوم بجدارة في الانتخابات الأمريكية القادمة بين ترامب وما يمثله من شعبوية، وبايدن الذي يراه الكثيرون كمصحح للديمقراطية الأمريكية بعد عثرات الرئيس الأمريكي.

إن الطبقة العاملة والحركات العمالية التي تشغل بال اليسار العربي، أو تستغلها في أسوأ الأحوال لمصالح الوصول إلى السلطة أو تهديد الأنظمة بالتوقف عن العمل لتنفيذ مطالبها، هي في النهاية نتاج التطورات الرأسمالية، واندفاع شعوب الريف نحو المدن للعمل والكسب وتحقيق الرفاه الاقتصادي الذاتي. وهنا أيضا، ومن الجدير ذكره، أن تلك الطبقات العاملة والحركات العمالية الشعبية الثورية وجدت الدعة والرخاء في منطقة الخليج العربي ودول النفط الغنية التي يعتبر فيها العامل موظفا لدى الدولة ويحظى بالامتيازات الاقتصادية العالية التي تجعله يقتني أفضل الملابس والسيارات وأفضل أنواع السيجار، ويقضي ذلك الموظف عطلته السنوية في ربوع المجتمعات العلمانية الليبرالية دون أن تتسخ ملابسه أو يشعر بأحوال العامل العربي في موريتانيا أو الصومال أو الدول العربية ذات الدخل المنخفض.

واليوم، لم تعد هناك دول مستعمرة حتى يلعب اليسار دور المخلص والمنقذ. بل أصبحت إرادة الشعوب والثورات الشعبية هي الوسيلة للتحرر، ولنا في ثورات الربيع العربي، وحركات التحرر الشعبية في فنزويلا وغيرها المثال الحي لإرادة الشعوب في الحرية بعيدا عن التنظيرات اليسارية وأحلامها. إن الفكر اليساري العربي اليوم، بمختلف تلاوينه واتجاهاته الفكرية والسياسية والاجتماعية، هو أسير للتاريخ ويقبع في مستنقع السكون الفكري والرثاثة الهيكلية، ويسكن عقليات لا تزال تفكر بالمؤسسين وأحلامهم وتطلعاتهم، دون أن يروا الواقع العربي وكيف تغيرت أفكاره وأدبياته السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.

وحتى نطلق رصاصة الرحمة على الفكر اليساري، وكي يرى أتباع هذا الفكر مدى إخفاقه وجموده وتراجعه، فإننا ندعوهم إلى رؤية العصر الحديث، فهل تحقق أي نجاح للدولة اليسارية الاشتراكية الشيوعية؟ وهل نجحت أي تجربة اشتراكية في تعزيز منطق الديمقراطية والعلمانية وحقوق الإنسان؟ وهل صنعت أفكار اليسار والقومية حداثة اقتصادية منتجة و'بداعية ومتقدمة؟ أم أن كل ما نراه من تفوق وإبداع وحريات وصناعة، هو في النهاية نتاج الرأسمالية والليبرالية والعلمانية؟ تلك القيم والأفكار والمنجزات الحداثية التي نقلت الإنسان من عصر الظلام إلى عصر النور والتنوير والحريات.

# أرض اليسار المأزوم

سامح عسكر
باحث وكاتب من مصر

مثل العديد من أزمات السياسة في المنطقة العربية يعيش اليسار أزمة مختلفة أولا بصفته عنصرًا من الكل المتأزم، وثانيا بصفته باحثًا عن هوية مفقودة ومختلطة، فاليسار منذ نشأته وهو يرفع شعارات المساواة، خصوصا الاجتماعية والاقتصادية، لكن حين يبحث عن نموذج تطبيقي لتلك المساواة لا يجد أمامه سوى نموذجين: الأول شيوعي اشتراكي، وتجارب معظمها فاشلة في الصين وروسيا.

والثاني إسلامي، وتجاربه كلها فاشلة في دول تطبيق الشريعة التي زعمت ملكيتها لنموذج مختلط فيه الروح الإشتراكية وأهداف المساواة، ونتيجة ذلك أن عاش اليسار في شعارات وأوهام أكثر من حقائق مجربة، إنما للإنصاف هذا لا ينطبق على الكل، فالإطلاق مذموم، وبظني أن النزعة اليسارية في التغيير من أجل حقوق الضعفاء والمساواة لا زالت تهيمن على كثير من التجريبيين والواقعيين وملاك البرامج السياسية الطموحة والمتفاعلة مع الشارع بصدق.

وضربت مثالًا لذلك في أن حكومة "دينج شياو بينج" اليسارية في الصين برغم أنها انفتحت على السوق الحرة وانقلبت بشكل شبه تام على سياسات ماو الشيوعية لكنها في الوقت ذاته امتلكت الحس الواقعي والتجريبي في المساواة فكانت النتيجة الآن تخفيض نسبة الفقر في الصين لنسبة ٣٪ من عدد السكان بعد أن كانت في العام ١٩٧٨ في بداية حكم شياو بينج ٩٧٪ إضافة للنهضة الزراعية والصناعية والاقتصادية المبهرة التي تعيشها الصين حاليا حتى صعدت للاقتصاد رقم ١ على العالم في معدل الإنتاج بمجموع قيمي ٢٩ تريليون دولار. إذن فأزمة اليسار ليست بنيوية في الفكر اليساري نفسه ولكن في تفاعل اليساريين وأدواتهم وأساليبهم في الفهم، وهو أمر قد يدفع اليساري للتحالف مع الإسلامي والإخواني إذا كان متأثرا بالفقه الديني وثقافة التنظيمات الإسلامية، أو يدفعه للتحالف مع النيوليبرالي إذا كان متأثرا بصخب تجارب ماضيه وفشلها على وعيه الباطن، مما يدل على أن أزمة اليساري قد تكون في محورها كتلة فراغ هائلة في النفس وجدت في ظل فراغ عقلي وعلمي حقيقي بعد حضور الشعارات والخطب كبديل يهيمن على الحس الواقعي الذي ميّز اليسار دائما كفلسفة حياة.

نعم فاليسار متميز بالحس الواقعي وحدسهم في استشراف المستقبل، ذلك لأنهم على موقف نقيض متشدد في عدة أمور كعلاقة الدين والدولة، والفوارق بين الطبقات، وأمور كالبيئة والحيوان، حتى أن شخصية اليساري أصبحت محفوظة بحيث لو ترى الشخص مهتما بحقوق الكائنات الحية من حولنا فهو عن رؤية فلسفية مضمرة نتجت عن تراكم عقلي وجدلي سابق في تقديس مبدأ المساواة، والذي يخفي في مضمونه مبادئ أخرى كالرحمة والإيثار والتضحية وغيرها، لذا فالملاحظ في تاريخ الثورات أن أغلب مشعليها يساريين تميزوا بتلك التضحية وثقافة الإيثار، حتى أنني أزعم بأن مبادئ حق الإنسان والحيوان ظهرت عن مبادئ وقيم يسارية، لكن ما أحدث هذا اللبس بين اليسار وحق الإنسان هي تطبيقات شعاراتية أيدلوجية فقيرة طوال القرن ٢٠ نزعت من المواطن حقه في التعبير، وترسخ الاستبداد أكثر حتى بات علامة على نُظُم اليسار العالمي.

حتى من يسمون باليسار الإسلامي وقعوا في المعضلة نفسها، فهم من ناحية المساواة وحق الإنسان الاجتماعي عملوا بقاعدتين قرآنيتين، الأولى: "أن يحضّوا على طعام المسكين والفقير والتعظيم من سبل الإنفاق على المحتاجين" والثانية: "عدم الإسراف والتبذير في سبل الإنفاق العام" وهو اتجاه أساسه قاعدة اليسار الرئيسة في المساواة والإيثار مختلفة نوعا ما عن قيم السوق الحرة التي من ناحية لا تؤمن بحدود الإنفاق وتعطي الحرية كاملة في ذلك، ومن ناحية أخرى لا تعترف بالقدرات والإمكانيات النسبية للبشر في طرق عيشهم أو قدرتهم على كسب المال وفتحت الباب واسعا أمام غير الأسوياء أخلاقيا ونفسيا للتربح والتزلف أكثر لذوي النفوذ في تخليص مسائلهم، وهي أمور منتشرة في المجتمع النيوليبرالي الذي لا يهتم بطرق الكسب ما دامت متفقة مع القانون، علما بأن القانون لم يعالج طرق الكسب الأخلاقية جميعها، وزعمي أنه عالج نسبة بسيطة منها وتظل الأغلبية في طرق الكسب لأمور فوق القانون هي طرق الرأسماليين غالبا في التربح وزيادة الفارق بينهم وبين الطبقات الدنيا.

هنا الحق اليساري المبتدع في نفس الإسلامي تأثر بهذا التربح خصوصا طوال الحرب الباردة فامتزج لديه الرفض ما بين الاقتصاد والسياسة والمجتمع والدين لاسيما أنه ربط آليا بين الاستعمار الأجنبي وهذا التربح فانتقل آليا هذا الربط على كل خصومه الفكريين من العلمانيين بالذات الذين رآهم عملاء لهؤلاء المتربحين، فالإسلام الذي نادى بالمساواة هو نفسه الاشتراكية التي نادت بالمساواة في عقل اليساري الإسلامي، هو الرأسمالية الذي يدعم حق الملكية وعدم تغول الحكومة في ثروات الأفراد، بمعنى أن الدين في عقل اليساري الإسلامي يعالج في جزئية الاقتصاد حق المساواة الاجتماعي وتجريد أعضاء الحكومة من نفوذ التجارة والمال، ولا زال هذا النموذج المطبق في إيران بحيث تجد عناصر الحكومة محرومين من التجارة طوال فترة بقائهم بالحكم حتى لا يتركوا فرصة لخصومهم أن يتهموهم بالفساد والتربح.

إنما اليساري الإسلامي فشأنه كاليسار العلماني لا زالت لديه مشكلة السياسة والشعار، فالمساواة بالأصل هدف أخلاقي ومعيار عقلي إنساني يحكم الجميع حتى الرأسمالي أو تيار اليمين بالمجمل، لكن اليمين يرى أن طرق المساواة لا تأتي بالضرورة بقرارات مباشرة أو برامج وخطط مباشرة ولكن المساواة تأتي من حرية المجتمع في التصرف في أملاكه وتوظيف إبداعه الشخصي، لذا ارتبطت الرأسمالية غالبا بالتيار الليبرالي المنادي بالحريات، ولن نناقش موضوع النتائج وهل نجح العالم الرأسمالي في المساواة حقا أم وقع في ما وقع فيه اليسار العالمي من الغرق في الشعارات والأمنيات.

وخلاصة تلك الجزئية السابقة أن اليسار العالمي بمن فيهم يسار الإسلاميين لا زالت لديه أزمة في السياسة وهي كيفية التوفيق بين مبادئه في المساواة وبين رغبات وتحديات المجتمع الذي يديره، ففي نهاية الأمر الحكام هم بشر يصيبون ويخطئون وحتما لو نجح الحكام في صناعة مجتمع عادل بنسبة كبيرة فأمامه تحديات أخرى أكثر أهمية وهي دوام وبقاء ذلك المجتمع وترسيخ مبادئه مع الزمن، وهذه جزئية تخضع للخبرات والقدرات النسبية التي لا يمكن فيها البقاء على الحال نفسها طبقا لقاعدة الصيرورة، وكذلك تواجهه سقطات وقصور الحاكم نفسه من رغبات ممنوعة وشهوات مكبوتة وقصور عقلي وأخطاء يقع فيها أي مسؤول، مما يعني أن نجاح اليسار في التغيير ثم الحكم يلزمه أولا الاعتراف بأن مبدأ المساواة عزيز لكنه ممكن طالما توفرت فيه الشروط مؤقتا، وهذا سيقلل من حجم الشعار واليوتوبيا مما يخفض بالتبعية مسائل كالأمنيات والوعود التي يكثر اليسار من استعمالها في أمور الحشد وتنويم العامة مغناطيسيا.

كذلك فاليساري لا ينتبه لخصوص علاقته الفردية بمسؤوليته الجماعية، فالشخص من هؤلاء تجده يكثر من الشعار والوعود على مستوى الجماعة، لكنه على المستوى الفردي لا يطبق شيئا من ذلك، كمن ينادي بحقوق المرأة لكنه يظلم زوجته ويطردها مع أبنائه، هذا تفسخ اجتماعي بالأصل يهدم صورة المجتمع الماركسي المتماسك وهي جزئية أزعم أن فلاسفة الماركسية أولوا لها جهدا كبيرا ليس فقط من حيث التنظير الفلسفي ولكن من حيث التقويم الأدبي في تقديم ثورة نموذجية لمجتمع فاضل، والدليل على ذلك أن نسبة كبيرة ربما تكون أغلبية الأدباء المميزين هم من اليسار الذين يملكون رؤية اجتماعية وأخلاقية فريدة في المساواة ولديهم القدرة على بلورة نظرياتهم وشعاراتهم في تمثيل واقعي يشرح ما يدور بخلدهم، وهذا سر من أسرار قدرة اليسار على تبسيط المفاهيم العلمية وقربهم من الشارع دائما حتى باتوا حلقة رئيسية في أي تغيير مجتمعي وسياسي في الغالب.

نقطة أخرى في اليسار الإسلامي الذي يعاني كبقية زملائه في الاتجاه لكنه يعاني أكثر منهم في طبيعة رؤيته لمصدر دخل الدولة، فالإسلامي الذي يرى أن موارد الدولة المشروعة تكون في الخراج والجزية والعشور والغنائم والسبايا لا يمكنه الزعم أنه بذلك يكون قد حقق المساواة، بل هو يقرر ضمنيا لامساواة منها طبقية أخرى بشكل ديني تعطي فيها الأفضلية المالية والاجتماعية والسياسية للمسلم، وطبقية جنسية تعطى فيها الأفضلية الكاملة للذكر على حساب الأنثى لسبق قناعته باستهلاك أجساد السبايا في الجنس كملك يمين، هذا غير الطبقية السياسة التي تنشأ آليا بقدرات ورغبات الحاكم النسبية الذي سيحيل فشله غالبا إلى أعدائه وخصومه خشية انتقام الجماهير مما يورط الدولة في صراع سياسي يؤدي حتما للدكتاتورية في الرأي.

ولهذا التناقض الصريح في مبادئ يسار الإسلاميين ظهر منهم مفكرون ينظرون لهذا التناقض الذي وصل لحد تصادمي لا يمكنهم فيه السكوت، فكل ما سبق من تناقض وازدواجية لم تتوقف عند نفس الإسلامي فقط ولكن انتقلت خارجه لتظهر صورة الإسلاميين بالمجمل كمجانين فاقدين للعقل والخبرة، وهي صورة بدت كأنها تُلحّ في نفس اليسار للتخلص منها وإثبات أنها مزيفة، وهذا تفسير كيف أن أكثر زعماء الإسلاميين الذين انتقدوا الحركة الإسلامية من الداخل أنهم من اليسار، وأن من يسمون أنفسهم يسار الإسلاميين، كثفوا من لقاءاتهم مع خصوم التنظيمات الدينية طوال الحرب الباردة وما بعدها لهدفين، الأول: أن يثبتوا أنفسهم كوكلاء حصريين يمثلون الشريعة، والثاني: أن يقدموا أنفسهم كحلقة وصل بين اليمين الديني وكافة تيارات العلمانيين الأخرى بهدف التقريب، وهذا يفسر من ناحية أخرى كيف أن يسار الإسلاميين تحديدا هو الذي نحا طريقا آخر مختلفا ناحية المذاهب والأديان بشعارات التقريب الديني.

كذلك تبقى مشكلة اليسار الأزلية أنهم مهما نشطوا في عدم تحميل الأثرياء مسؤولية الظلم لكن في نفس ووعي اليساري لا زالوا يكرهون الأثرياء وينظرون لهم بتعميم مبالغ فيه أحيانا على أنهم أشرار، وفي ذلك إهدار صريح لقواعد العلم والخبرة والمهارة والإبداع الذين يشكلون نسبة كبيرة في طرق الحصول على الثروة، علاوة على حق الملكية الموروثة التي قد توهب لعناصر أقل من حيث الإبداع والقدرة فيجري تجريد هؤلاء من ثرواتهم على أساس صوري يرون فيه هذا الكائن يهدر الأموال، ومسألة هدر الأموال هذه تشغل بال اليساري لكونها إهدار ثروات بشرية كونية لا مجرد أملاك خاصة، وبرأيي أن هذا التحكم النفسي من اليساري على أموال غيره هو مصدر قاعدة "الاحتكار" الذي يهيمن على الفقه الاقتصادي لليسار بشكل عام.

يبدو أننا أمام معضلة نفسية أكثر مما هي فكرية، فالتاريخ لا يؤثر فقط في الأفكار ولكن في الوعي والضمير والصورة المُتخيّلَة عن الآخر ودوافع ذلك الكامنة التي تتحكم في صورة الآخرين بالمجمل، مما يعني أن الإنسان بعمومه لا ينظر للآخر بشخصه وموضوعه ولكن لمجرد المخالفة، لذلك كان تقبل الآخر من أحد مشكلات الإنسان الكبرى التي تتعاظَم كلما أوجد الإنسان دوافعها كالشعارات والرغبات والأيدلوجيات، وبما أن اليساري مهتم أكثر بالمساواة المحتملة وعزيزة التحقق فسيظل يراها كشعار لأغراض الحشد والأيدلوجيا ..بالضبط كما انتبه خصوم اليسار لتلك الإشكالية وقالوا إن المساواة في الاقتصاد ليست مشكلة في حد ذاتها بل هي طبيعة طبقية مصدرها الإنسان نفسه وأن القانون هو الكفيل بوقف خروجها عن المعتاد أو حدها الطبيعي.

أختم بذكريات حدثت في التسعينات عن موقف اليسار المصري من الانتخابات، فحزب التجمع رفض مشاركة رجال الأعمال في انتخابات البرلمان طبقا لما قلته بأن مبدأ اليسار يرفض أن يعمل عناصر الحكومة والتشريع بالتجارة خشية من استخدام نفوذهم ضد مصالح الأغلبية، لكن الحزب الناصري لم يعارض ترشحهم باعتبار أن رجال أعمال مصر هم رأس المال الوطني اللازم للتنمية، وهي مفارقة بين اليمين واليسار دخلت حتى في اليسار نفسه مما يعني أن مسمياتنا حول أجنحة الحكم المختلفة قد تكون وهمية أحيانا لاسيما أن هؤلاء المختلفين يمثلون وجهات نظر متباينة من الآخر لنسبية أفكارهم ولأن مصالحهم أيضا ليست واحدة فلربما الذي حمل التجمع على الرفض والناصريين على القبول هي مصالح شخصية ونحن نحسبها قناعات فكرية وفلسفية.. وإلى ذلك تدور بعض خلافاتنا حول المفاهيم بينما الأصل هو في دوافع ومصدر تلك المفاهيم الغامضة التي كانت وستظل هي المعضلة الكبرى في فهم الواقع كما هو وليس كما نريد أو ورثناه عن الأجداد.

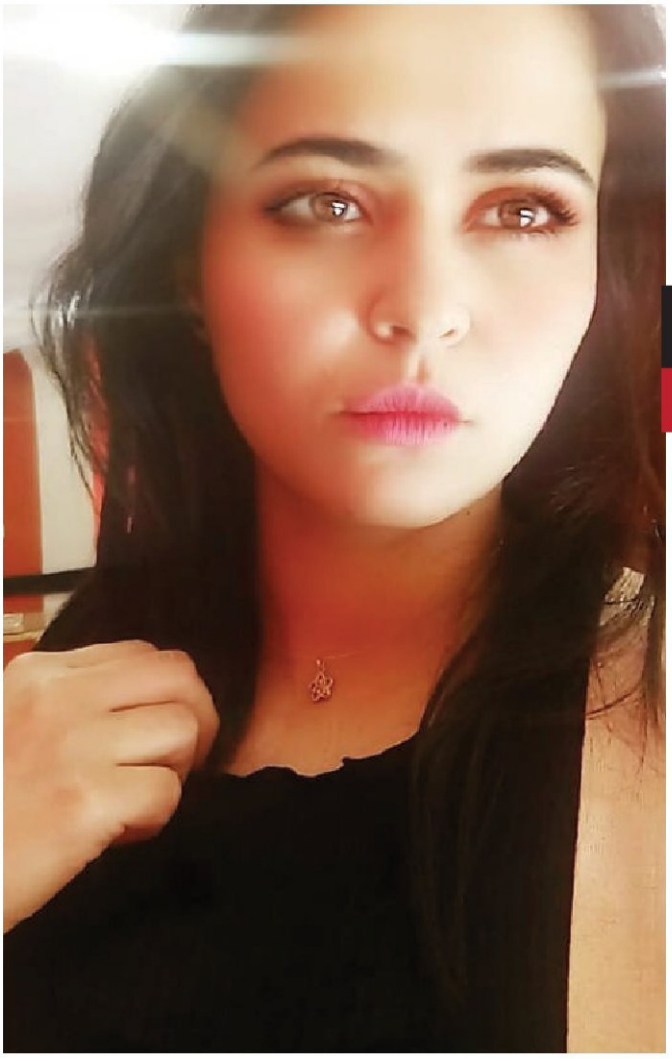

# اليسار العربي
## وأفول النجم الأحمر الساطع

زكية بن خذير
كاتبة وباحثة من تونس

طالما ارتبطت فكرة "اليسار" دائما بذلك التيار السياسي الذي يسعى لتغيير المجتمع إلى مجتمع أكثر عدلا ومساواة بين جميع أفراده وطبقاته، أما بالنسبة لليسار كمصطلح فقد نشأ مع الثورة الفرنسية حيث أيد جل النواب الذين يجلسون على اليسار تغيير النظام السياسي الفرنسي إلى نظام جمهوري علماني، أما عربيا فقد نشأ الفكر اليساري مع بروز حركات التحرر الوطني التي خاضتها المستعمرات في أواسط القرن الماضي للمطالبة باستقلالها كما ارتبط بالحركات المناهضة للاستعمار وللرأسمالية.

لكن للسائل أن يسأل طالما أن اليسار أو اليسار العربي فى منطقتنا يحمل هذا العبء العظيم وهذه الغايات النبيلة: لماذا هذا التمثيل الضئيل في المجالس النيابية وفي الحكومات العربية خاصة؟ كثيرا ما ارتبط في السنوات القليلة الماضية التفكير في اليسار بالحديث عن أزمة اليسار ويذهب خصومه إلى وصف واقعه بالفشل والإفلاس التاريخي وإلى التنبؤ بقرب اضمحلاله.

### فهل يمكن حقا الحديث عن اضمحلال اليسار نهائيا من المشهد السياسي والعام قريبا؟

حسنا إن الإجابة عن هذا التساؤل لا يمكن إلا أن تكون بالنفي ذلك أن الطبقة العاملة غالبا ما تفرز طبقة سياسية تعبر عن تطلعاتها وتوصل انتظاراتها وأصواتها، إلى جانب أن اليسار يعتبر المعبر الأول عن الطبقات التي تتوق للتحرر والانعتاق وهو ترجمة لجل التحركات الاجتماعية الرامية إلى التحرر من الاستغلال والاضطهاد. لكن تراجع تمثيلية القوى أو الأحزاب اليسارية في البرلمانات لا يعني أن اليسار قد تخلى عن دوره التاريخي في تثوير الشعوب، فعند النظر بموضوعية للواقع السياسي في الشارع التونسي سنلاحظ أن اليسار كان ومازال سباقا في طرح المشاكل التي تعيق التقدم المجتمعي إلى جانب مساندته للنضالات الاجتماعية وتنظيمها رغم أنه فقد الكثير من وحدته وتلاحم صفوفه ومن قدرته على المبادرة والتعبئة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الدول العربية، وعلى رأسهم تونس، تعد دول "السنة أولى ديمقراطية" لذا من هذه الناحية ليس غريبا أن لا يتمكن اليسار من الحصول على نسب جيدة من التمثيلية سواء في البرلمانات أو الحكومات، ذلك أن الشعب كان ومازال يخشى هذه التيارات لما ألصق بها أنها ضد الدين وضد النمط المجتمعي القائم وهذه النقطة بالذات حساسة بالنسبة للوعي المجتمعي أكثر من مسألة الجوع والبطالة والاقتصاد.

هذا إلى جانب جملة من الأخطاء التي ارتكبتها التنظيمات اليسارية ولعل أبرزها وهي التي سببت نفور وخوف الشعب هو أن اليسار الذي نشأ في تونس كان وريثا لمشروع الحداثة الذي يهدف في العمق إلى اقتلاع الثقافة المحلية ونفيها والاستبدال بها ثقافة أخرى منقطعة عن سياقها التاريخي جاهزة ومستوردة (القيم الكونية) التي رغم نبل مبادئها إلا أنها تمثل تهديدًا لثقافة الشعب النمطية المرتبطة ارتباط وثيق بالدين والعادات. و من بين الأخطاء الأخرى نذكرها، النظرة العقدية للماركسية وتحويلها إلى دين ماركسي له طوائف (الماركسية اللينينية، الماوية، التروتسكية الخ...) ولكل طائفة مريدون ومنظرون يعكفون على النصوص ويقدمون لها تأويلات وفتاوى، وكلما طرحت مسألة من مسائل الواقع تم الرجوع والتفتيش في هذه الفتاوى الجاهزة (هناك من اليساريين اليوم من يقف مثلا ضد المثلية مستندا إلى موقف لينين). وبذلك أصبحت الماركسية دينًا جديدًا يبشر بمجتمع الجنة الموعودة الذي تسوده المساواة وقيم العدالة والسلم الاجتماعي، هذا إلى جانب عنصر النقد والنقد الذاتي الذي تتغنى به كل أطياف اليسار نظريا لكن في الممارسة فإن تقييمهم لتنظيماتهم كان يلقى فيها اللوم والفشل إما على أشخاص بذاتهم داخل التنظيم، وإما على خصم سياسي (عادة يكون من أحزاب أقصى اليمين)،

وإما يلقى الأمر على عاتق الامبرياليات العالمية التي تمول الخصم وتشوه اليسار في منابر الإعلام المأجور (رغم نسبية صحة هذا الادعاء وواقعيته).

إلى جانب ذلك، فاليسار لا يطرح على نفسه أهدافًا معقولة وعاجلة وقابلة للتحقق بل يسعى إلى تغيير المجتمع ضمن صيرورة تاريخية معينة إضافة إلى أنه خارج الفعل السياسي فهو عنصر غير فاعل فهو إما ينتظر خصمه السياسي ليخطئ (يقوم بالفعل) ليرد حينها اليسار الفعل ليحظى بتعاطف الشارع، أو أنه يشاهد المشهد والأحداث ويكتفي بالمراقبة متغنيا بمقولة "دعها تتعفن" منتظرا أن ينتج هذا التعفن تغييرات تكون في صالحه، عندها فقط تحين اللحظة التاريخية لتدخله، وهو لعمري خطأ فادح. ومن بين الأخطاء الأكثر فداحة هو تبني تحاليل جاهزة لنظام الإنتاج في تونس بل وأيضا التصرف على أن الوضع الطبقي في تونس مماثل لنظيره في أوروبا وأن الطبقات مشكلة وهذا ساعد وأسهم في ترويج أطروحات خاطئة حول الدولة والهيكلة الاجتماعية وخصوصيات الصراع الطبقي والاجتماعي ولعل هذا هو السر في عدم القدرة على فهم البنى الاجتماعية ومنظومة القيم السائدة والتي تشكل أساس وحدة المجموعة ومنها الدين والأخلاق والمقدسات إلخ. إلى جانب ذلك إهمال حلقة مهمة في الثقافة وهي التراث العربي الإسلامي ومحاولة اقتلاع هذا الجزء وربطه رأسا بالتخلف والجهل ومحاولة تأصيل هوية بديلة (الأمازيغية).

وجل هذه الأخطاء يمكن في حقيقة الأمر تجاوزها إذا وجدت نية حقيقية للوقوف وقفة جريئة لنقد الذات والقيام بمراجعات شاملة لعل أبرزها التخلي عن الرومانسية الثورية وخوض تجربة حقيقية من الفعل السياسي والثقافي المتصالح مع ماضي هذا الشعب والمتماهي معه،

وبهذه الطريقة فقط يمكن للشعب أن يعطي لهذه التنظيمات فرصة أخرى عليه أن يستغلها حقا ومن خلالها بإمكانه الإسهام في معالجة قضايا الواقع التي تزداد سوءا، بالإضافة إلى ضرورة القيام بجملة من التحالفات بين مختلف الأحزاب والقوى اليسارية ووضع جملة من الأهداف المشتركة والقيم التي تمكنهم من العمل التشاركي من خلال تحديد جملة التقاطعات التي تجمعهم مع هذا التنظيم أو ذاك، كالإجماع مثلا على أن هذه القوى المتحالفة تطرح جميعها مشروع التغيير لصالح الطبقات الكادحة كما يمكن صياغة ميثاق يساري أو مدونة عمل تشاركي تحتوي جملة من النقاط والاتفاقات التي تهدف إلى تشكيل تحالفات مع جملة الفصائل والقوى والأحزاب ذات التوجه اليساري وبذلك يمكن أن يكون لها وزن في البرلمان أو الحكومات وبذلك يمكن أن تحقق إسهامات هامة ولها وزنها ولا تكتفي فقط بدور المعارضة فقط.

وبذلك نخلص من كل ما سبق أن اليسار العربي عامة والتونسي بشكل خاص سيبقى موجودًا في المشهد السياسي لأنه لابد من فصيل سياسي يعبر عن تطلعات الفئات الشعبية والعاملة، ولا ينقص هذا اليسار ليكون فاعلا إلا بداية أخرى تسبقها جلسة مع الذات لفهم أخطاء الماضي وإعادة ترتيب البيت من جديد والتصالح مع الشعب بماضيه لفهم حاضره ولمحاولة تحسين مستقبله وبذلك يكون قد حقق هدفا ليس هينًا، لأن كسب ثقة الشعب قد تربحنا الكثير من الوقت الضائع في سبيل تكوين حزب ثوري قادر على أن يقود الجماهير إلى هدفها الأسمى "الثورة".

الهوامش:

1- الهاشمي الطرودي: اليسار واقعه و افاقه، مجلة أطروحات ١٩٨٨، ص١٩.

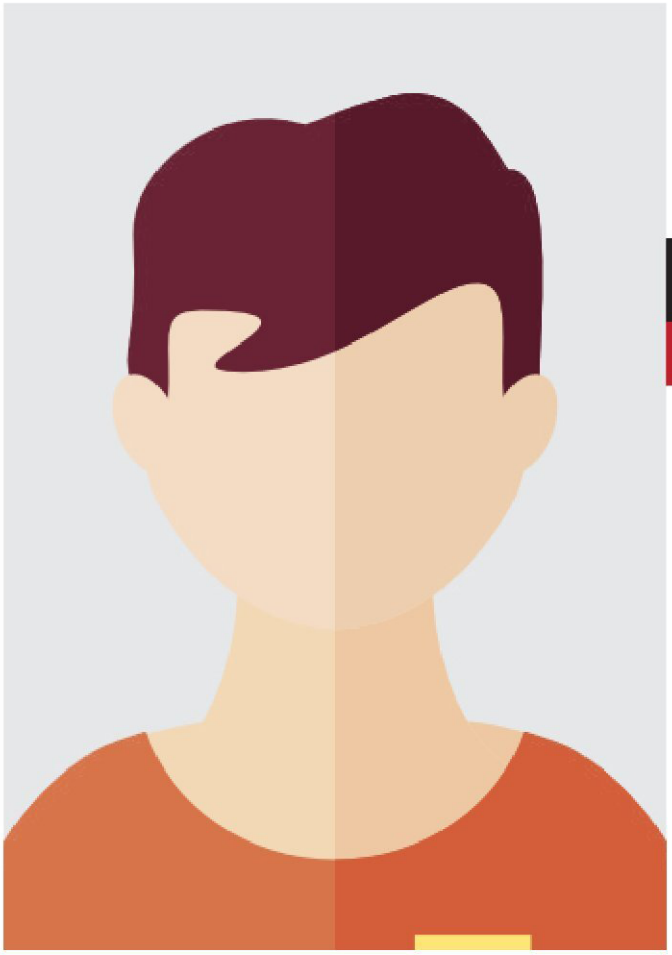

# اليسار المؤمن

أوزوريـــس
كاتب عربي تحت اسم مستعار

تتكرر الكثير من المشاهد ومظاهر اليسار المؤمن في خط السير التاريخي السياسي للمنطقة العربية التي يبرز فيها رجل الدين كملمع أوساخ السلطان وبصورةٍ وقحة وفجة قد لا ينتبه لها رجل الدين نفسه من شدة تقمصه لهذه المهنة. الأحزاب الدينية اليمينية التي تنتحل المثالية دوماً هي الأخرى اللاعب الأكبر لدور رجل الدين في بلاط السلطان، ولعل ذلك كان واضحاً بشدة في كثيرٍ من الأنظمة السياسية العربية كاليمن، عمان، سوريا، السعودية وليبيا...

إلخ. لكن ومع ظهور هذا الأمر جلاءً إلا أنه يقابله في نفس الوقت ذات السلوك على الطرف الآخر، اليسار العربي والذي لم يستطع يوماً الوصول بانتخاباتٍ حرةٍ للسلطة العربية إلا من انقلاباتٍ أفضت لحكوماتٍ توليفيةٍ بين العسكرية و البرجوازية والاشتراكية، منتهيةً لأشكالٍ من الأنظمة العاجزة عن تحقيق فلسفتها الثورية أو إقناع المواطن العربي بجدوى رؤيتها للعالم الذي تقدم إياها له. الحزب الاشتراكي اليمني مثالاً، بعد أن قامت جماعة الإخوان بتصفية رموزه تباعاً طوال عقد التسعينات، وجد نفسه متحالفاً مع الجماعة اليمينية المتطرفة التي قتلت رموز الحزب وأعضاءه بفتوى تكفيرهم وإهدار دمهم ضمن تكتل حزبي أملاً في إزاحة الحزب الحاكم عن السلطة والحصول على فتات يتقاسمه الحزب مع الجماعة اليمينية المهيمنة على هذا التكتل المتكون من كل النقائض.

الحزب الناصري الاشتراكي هو الآخر تحول (لمقاتل) في ربوع الوطن العربي يتبادل رواده قصصاً عن عبد الناصر كتلك التي ترويها الجدات، واختتام سمرهم بإقامة صلاة المغرب في جماعة. ونظام الأسد وإن كان أشد الأنظمة العربية يساريةً لم يخلُ من سَحنةٍ طائفيةٍ تجعل من الأقلية العلوية الأكثر سيطرةً في البلاد، وتتكرر ظاهرة اليسار المؤمن حتى في واحدةٍ من أشدّ الأنظمة العربية يساريةً. اليسار المؤمن هو نفسه ذلك الكيان، الذي صُفّيَت كوادره على يد جماعات اليمين العربي وأحرقت مبادئه ومنعت من التداول بين فئات المجتمع لتصبح أكثر إحراجاً من تداول المواد الإباحية، وهو مجموع تلك القوى التي ركب نفس هذا اليمين على ظهرها في أحداث الربيع العربي ووصل للسلطة في مصر، ليبيا، تونس واليمن.

## الولاء للفكرة

أحزاب اليسار العربية، الاشتراكية الديمقراطية مثالاً، تقف وحيدةً من أعضاء سذج في الغالب يمسكون زمام إدارة هذه القوى وقلوبهم تملؤها رهبة الدين والعقيدة التي تصل بهم لمحاكمة مبادئ أحزابهم وفكرها. الأمر بتعبيرٍ أدق هو غياب الولاء للفكرة أو الوفاء بها، بحيث تبقى الفكرة حبيسة سلوكين عامين لدى اليساري العربي هما حديثه اليساري الجريء واستغفاره آخر النهار عن ذلك. أي بمعنى أن معظم اليساريين، حسب تجربتي الشخصية الواسعة، يعيشون بظاهرين متناقضين تماماً عن بعضهما بصورةٍ لا تمكنهم من محاكمة الاثنين للخروج بنتيجة تفيد اعتناق ظهورٍ واحد، أحدهما يمثل الفكرة اليسارية والآخر المكونات الثقافية الاجتماعية والدين في الشخصية. تكوّن قوى اليسار العربية وأنصارها كان في بداية الأمر مجرد حالةٍ خاصةٍ في مجتمعات تقليدية وقعت تحت تأثير الزعامة الكاريزمية والشعبوية في ظروف القرن المنصرم وخروج الاستعمار وفقدت هذا الزخم وزالت بزوال هذا التأثير، فيما بقي الفكر اليساري ذاته بعيداً عن التطبيق الشعبي وضعيفاً جداً أمام التبشيرية الدينية لقوى اليمين، والذي قد تدلك قراءةٌ بسيطة لحياة وحديث رموز قوى اليسار لتجدها في الغالب أنها أكثر تديناً من قوى اليمين العربية نفسها.

## أسلمة اليسار

إحدى مشاكل اليسار العربي هي أنه وفي حالةٍ من ضعفه قبال الأكثرية المتدينة والمغيبة الوعي وقدرات قوى اليمين الإسلامي، مع احتمال رهبة المعتقد عند منظري هذه القوى أنفسهم، جعل من قوى اليسار تحاول إضفاء صبغةٍ دينيةٍ على مشروعهم السياسي. حزب البعث الاشتراكي نشأ من أساسه محاولاً إقناع العرب بأن الاشتراكية العربية هي عين إرادة النبي محمد، بينما الأكثر سخريةً من ذلك أن منظري ورموز الأحزاب الاشتراكية الماركسية في بلدانٍ عربية كاليمن والعراق لا تخجل من أن تدعي كذلك اشتراكية محمد بن عبدالله ودينه الإسلامي لمنح اعتقادٍ يمنحهم شرعية فكرهم كتمثل لإرادة اللاهوت للبشر

وآخر لصنع مساحةٍ شخصيةٍ لهم للتصالح مع النفس وتأنيب الدين والمعتقد الذي مازالوا يرهبونه ويحاولون التخلص من المذهب السياسي فيه بوجلٍ كبير. محاولة أسلمة الفكر اليساري انتهى به ليتماهى في الأخير ويذوب أمام تضخم الذات الدينية المتطرفة في المجتمع، ليتحول الفكر اليساري لدردشاتٍ ينتشي بها أنصارها في الغرف المغلقة خوفاً من كل شيء، أو لينتهي بهم كشيوعيين يقيمون الصلاة أو أئمةٍ يقودون الشيوعية. هذه الحالة التي يعيشها اليسار العربي بعد خيبات مشاريعه التي اعتمدت على السلطة والقوة والانقلابات ولم تُقِمْ علاقةً فكريةً صادقة مع الشعوب جعل منها في الأخير مطايا لليمين المتطرف الذي يستطيع أن يصل عبر انتخابات حرة ونزيهة للسلطة بإرادة الأغلبية.

## حياد الفكرة

العربي عموماً مهما كانت توجهاته السياسية أو ديانته ومعتقده يقع للحظة حبيس أزمةٍ في تكوين الشخصية والهوية تجعله كمنارة الشاطئ، مهيبةٌ من الخارج خاويةٌ من الداخل، وهذا القصد في ثقته بنفسه وذاته كحيوانٍ مفكر، فعلى سبيل المثال الإنسان العربي في الغالبية منه لا يجد في نفسه الثقة حتى في القيام بسلوكيات معينة أو التعامل مع أبسط طوارئ حياته اليومية ويبقى حبيس طلب التوجيه الديني للتعامل مع كل طارئ وجديد في نمط حياته منتظراً فتوى رجل الدين وإرشاده له حسب الشريعة. بنية الشخصية العربية التي يكررها المجتمع العربي بتفاوتٍ بسيط تجعل من الفرد عالقاً في أزمة قياس الفكر والمعرفة وحتى العلوم الحقيقية بمسطرة الدين والشريعة كمعيارٍ لقبولها عنده من عدم ذلك، مع أنه يحاول التحايل على الشريعة كثيراً ويحاول أن يجعل منها ملائمةً لما يقيس عليها من أمورٍ مختلفة إلا أنه يعجز في الأخير لأن صورة الشريعة هي ذاتها الثابتة منذ آلاف السنين. واليساري العربي هو جزءٌ من هذا المجتمع وطبقاته، وبالطبع يعيش الظروف نفسها التي تشكل هذه الشخصية المهزوزة الثقة في معظم القضايا بما فيها قضية إنتاج أو اعتناق رؤيته الخاصة للعالم.

إن هذا الطرح والنقد لا يعني بالضرورة وصف اليسار العربي بشكلٍ من أشكاله كالشيوعية مثلاً، وإنما يعتبر لفتةً لوجهة نظرٍ أخرى تناقش أسباب انحسار وتراجع اليسار العربي أمام قوى اليمين بشكلٍ عام، وهذا لا يعني بالضرورة عداء الدين وإرغام القناعات. إن محور ارتكاز هذا النقد في الأساس، كي لا يكون مجرد طرحٍ سلبي، هو أنه وإن لم يستطع اليسار إثبات حُجيّة دعوته وصلاحها فإنه على الأقل يحتاج إلى تحييد الدين وتجريده عن التكوّنِ كذاتٍ مقابلة للذات اليسارية عند الفرد والمجتمع اليساري كخطوةٍ أولى للنجاة وإيجاد مساحةٍ هامة للوقوف أمام التطرف اليميني. هذا التحييد مثلاً يصبح أقرب لتحويل المعتقد الديني لعلاقةٍ روحانيةٍ شخصية مع الإله، أو اعترافٍ هامشيٍ عن مسؤوليته السببيه خلف هذه الفوضى في قرارة الذات اليسارية الوحيدة.

## ظاهرة قطب ومحمود

ذات مقالة تناقش لباس المرأة ويرى كاتبها أن المرأة العارية على الشاطئ لا تثير شهوته البتة على عكس تلك المرأة المتدثرة بعباءتها ونقابها وتترك حافزاً لدى المرء للتطلع أكثر لمعرفة ما تخفي تحته وما يرافق ذلك من صورٍ في المخيال الجنسي للفرد، في محاولةٍ من الكاتب تجاوز القيود الدينية حول المرأة وإظهار وفائه ليساريته إلى جانب محاولة ترويض الشريعة التي يؤمن بها.

كاتب هذا المقال كان أحد أهم أقطاب ومنظري حركة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية عالمياً فيما بعد، سيد قطب، قبل أن يرضخ لمخاوفه من العقيدة التي يؤمن بها، أو ما أسميته الذات المتدينة قبال الذات المفكرة، ويقرر إظهار توبته عن الأفكار اليسارية التي تبناها خائفاً منها مستغفراً في محراب ليله.

مصطفى محمود هو الآخر أيضاً حالةٌ من هذه الحالات اليسارية التي بغضت اليمين، ففي كثيرٍ من كتبه يبغض الإسلام السياسي والترهبن الصوفي ودخل في سجالاتٍ كتلك التي خاضها قطب في مقاله المشار إليه أعلاه، ففي كتابه اللّه والإنسان يظهر كمفكرٍ قارب الإلحاد وفي مقالٍ له يصف المرأة نفسها بخيمةٍ ذات ثقبين، في إشارةٍ لاحتجاجه على اللبس الذي تفرضه الشريعة على النساء.

وفي محاضرة لسيد كشك يذكر لمحمود مقالاً حاول تبرير الشريعة وإسقاط حد الزنى والسرقة عن مرتكبيها لأنهم حسب تعبير محمود لا يمتهنون الزنى والسرقة إذ أن الزاني والسارق لا ينطبق عليهما اللفظ إلا حين يكونان ممتهنين لذلك، لذا فالعقاب لا يقع عليهما، ولعل الساحة الميثولوجية التي تحول فيها محمود في آخر مسيرته لكاهنٍ يعصر المعرفة لتلائم مقاس الشريعة تظهر جلياً هاتين الذاتين داخل اليساري العربي، في المجمل لا الكل، ولنعمم تلك المقالة التي قالها احد أصدقاء محمود، لنصف اليساري العربي بالقول: " إنه وإذا ما اعتنق العربي مذاهب اليسارية، فإنه يعتنقها وهو على سجادة الصلاة".

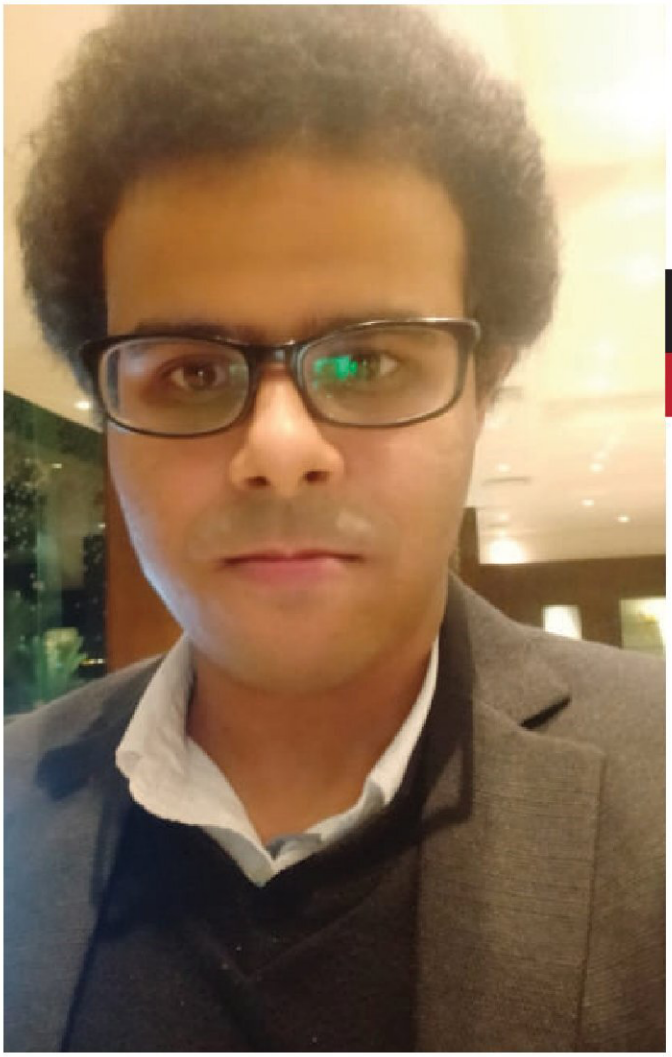

# استنساخ اليسار العربي من موته الإكلينيكيّ

محمد هشام
كاتب من مصر

العالم الجديد وعصور ما بعد الحداثة قد فرضت على الجميع، أفرادًا وتياراتٍ وأنظمةً، البحثَ عن الأدوات المناسبة والناجعة للتعامل مع معطيات وإنتاجات هذا العصر، وكذا نمطًا جديدًا ومرنًا من التفكير يترجم إلى خطابات ونصوص تتعامل مع الواقع كما هو دون مزايدات أو محاولات لإنعاش سرديات سابقة مبتسرة تعادي المستقبليات وحبيسة الماضي، تلك التي تمتاز دوما بتوجيه أصابع الاهتمام أكثر من الاشتباك مع الواقع، والبكاء على المآثر على أن تفرض مأثوراتها وتأثيرها، والنقد الذاتيّ البنّاء دون خطابات الصلف والنقد الذاتيّ البنّاء دون خطابات الصلف والعنجهية التي تحل فيها الحناجر محل العقول،

والمعارك الجانبية ومناوشات الصحف وسجالات تُستعرض فيها المحسنات اللفظية ومهارات الخطابة أكثر من الرؤى بعيدة النظر ومقاربات وفرضيات تفكك وتشكل الواقع الجديد. ومن تلك الوجهة تُثار قضية الاشتراكية واليسار عموما، واليسار العربي خصوصًا كأنموذج حيّ وخاص عند الحديث عن دور فلسفة الاشتراكية وهي المسوغ السياسي والاجتماعي لمجتمع اليسار. وعلى الرغم من أن اليسار يمتلك تاريخًا قديمًا وعريقًا في بعض الأحيان وسط غيره من الإيديولوجيات والاتجاهات التي تملكت زمام الحكم.

إلا أنه حين تتم موازنته مع غيره من الاتجاهات الليبرالية اليمينية في الحالة العربية وهي الشاهد في مقالنا ومحل الموقف والمقارنة، نجد أن تلك الجماعات والتيارات –اليسارية– قد توجت كافة مساعيها بالفشل التنظيميّ والميدانيّ والإيديولوجيّ والسياسيَ، وفشلت حتى في تشكيل paradigm/النسق الذي كان لابد وأن يجد له مبررا في اشتباكه مع الواقع خاصة العربيّ. والشِق الأكبر والأبرز لحركة اليسار العربي تمخضت عن التيار القومي العربي في الشرق الأوسط، وقد امتاز بالسلطة والهيمنة على كافة الحركات القومية والتحررية المناهضة للاستعمار الذي مكنهم من ذلك وتسخير أفكارهم لخدمة راياتهم السياسية احتلال الإمبريالات العالمية لبعض هذه الدول التي تزعم فيها اليسار العربي. إلا أنه في أعقاب هزيمة حرب ١٩٦٧،

أصيبت الجماهير العربية بالانكسار واليأس من النتائج التي لم تكن على الهوى ولم تكن متسقة مع خطابات وأكاديميات منظري الاشتراكية/اليسار إبان هذا العهد الزمني بهزيمة ساحقة من إسرائيل، وقد رأى جمهور العرب بأم عينه هزيمة ثلاثة جيوش من أقوى جيوشه، واحتلال سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية والجولان.

وهُنا برزت "الماركسية" كبديل عن "التيار القومي العربي البعثي الاشتراكي"، ورأى الماركسيون القومية ليست على مقاساتهم ولا هي مناسبة للواقع المعاش الذي شهد الانكسارات؛ خاصة أنه بعد ذلك تفرعت هذي الماركسية وصبغت بنكهات بعثية واعتُبِر هؤلاء –الأخيرين– من المارقين عنها، وهناك من حاول المزج بين القومية والشعبوية، وهؤلاء انشقوا عن أحزابهم وبدا أعلامهم متشرذمين قبل أن تنضج حركتهم إقليميا على الأقل. وقد برزت شعارات كثيرة ضد الرأسمالية بعد ان اتخذ اليسار العربي من الاحتجاجات العمالية نواة للحشد وتأسيس القوة والتمترس التنظيمي على أرض الواقع، وكانت مطالب المساواة في المعيشة وتحسين الأجور هي إحدى أهم القضايا التي التف حولها اليسار، ولا يزال يفعل، إلا أنه من الناحية السياسية هي حركات لا أنياب لها ولا قوة كانت تبشر بمطامح للحكم؛ إذ كانت أفكار التيار القومي المناهض للإمبريالية لازالت سائدة، ومن هنا قد عادت النكهة الراديكالية لتصبح الصوت الأوحد الذي أقنع العمال والطبقة العاملة بأن الوقت لم يحن للانعتاق من الصراع الطبقي إلا بضمانة التحرر من المستعمر، وقد أعيدت العلاقة إلى ماضيها التي تربط الجماهير بحكامها القوميين وشكلت نغمة تحرير الوطن والصراع مع المحتل الأساس والمضمون لنضال اليسار.

وسبب آخر في بداية الفشل/التأسيس للنظرية الماركسية العربية الحالمة، وهو أحد أهم أسباب أزمات اليسار الراهنة، التبعية الفكرية العمياء لمعسكر السوفييت،

وهنا نجد أن التيار اليساري الماركسي لدى العرب لم يتشكل كنتاج لحتميات تاريخية أو كإحدى إرهاصات السيرورة الزمنية أو كنتاج لاشتباك اجتماعيّ وقد تطورت عنه تحولات ثقافية تفرض نفسها على أن يتكتل الماركسيون حينها وتتاح لمعاصريهم وأخلافهم كذلك الخبرات والتراكمات الفكرية والنضالية، إلا أن كل هذا كان ضربًا من الخيال، فقد كانت الثورة الرومانسية الحالمة والنضالات الطبقية التي تحولت لنضالات وطنية ضرورية ما هي إلا لترويج تجارب الأحزاب الشيوعية العالمية، وعمل برواجندا لأبطال الماركسية في الصين وروسيا وفيتنام وكمبوديا وبوليفيا. وإذا قمنا بإغفال التطورات السلحفاتية السياسية والتنظيمية لليسار في الأعوام الثلاثين السابقة للقرن الواحد وعشرين –حيث لا يسع المجال لذكرها أو المرور عليها– نلاحظ امتداد نغمات وقسمات الاشتراكية إلى يومنا والتي تتمظهر حول المسميات المعهودة: البعث الاشتراكي والاتحاد الاشتراكي والاشتراكيين الوحدويين والاشتراكيين القوميين والاشتراكيين العرب ..إلخ.

في حين أن من ورثوا عنهم مفاهيم الاشتراكية –التي كانت نتاجًا لصراعات وأزمات مجتمعية– قد اتجهوا إلى المدخل السوسيولوجي/الاجتماعي ومن هنا كانت اشتراكيتهم ثورية وضربت أساسات عدة في المجتمع وكانت لها قيمتها ونتائجها على المستوى السياسي والنضالي والتنظيمي والعلمي –فرنسا وإسبانيا على سبيل المثال– في حين أن العرب قد تمسكوا بالمنحنى الاشتراكي الذي لا يملكون رفاهية الانعتاق منه إذ إنه لا إسهام منهم في تأسيسه أو التلون به بما يناسب ظروف ونتاجات صراعاتهم. إن الأزمة الرئيسية الأخرى لتيار اليسار العربي إلى وقتنا هذا عدم الالتفات لما انتقده الغرب وأوروبا لما اكتنف الحركة الماركسية العالمية من جمود وتقولب إلى أن أصبحت كالدوجما التي ترفض غيرها من التيارات وتتهم ما دونها من الفلسفات التي تأتي تقول ما لا يأتي به ماركس أو أكاديميو اليسار، فتحولت إلى يسارية لاهوتية تنكر ما سبقها وتقوم بتعجيز من سيأتي مستقبلًا ويزعم أنه سيحل مكانها. وأصبحت النظرية الثورية الحالمة عماد العقيدة اليسارية، والصراع الطبقي هو ناموس الكون، وماركس هو الإله الأوحد، وأية تفسيرات ليبرالية أو وجودية أو برجماتية لا يقع في إصحاحات اليسار.

أم هي ديمقراطية موجهة منغلقة على نفسها من الأطياف القومية والاشتراكية؟ حيث نجد أن الشمولية التحكمية Authoritarianism تعد أحد أهم المآخذ على تيارات اليسار العربية عند إجاباتنا على هذه التساؤلات، فيرى كثير من اليساريين العرب في انتقاداتهم لليبراليين والليبرالية أن حريتهم التي تمتزج بالتعددية الديمقراطية، ما هي إلا ذريعة لنيل الحكم، على أنهم لا يتصوروا أن هناك ديمقراطية عامة تمثيلية خارج إطار تحكم الدولة والرئيس الثائر ملهم الشعب وهيمنة المكون الواحد الحزبي، وسيطرة الفكرة الواحدة "الانعتاق من سيطرة المستعمر - الانعتاق من إذلال العمال - الانعتاق من الفوارق الطبقية".

وهنا نطرح السؤال للجمهور –وقد أجابه التاريخ والباحثون– عن الفرق بين النظم الثيوقراطية الحاكمة وبين حكم الاشتراكيين العرب واليسار؟! حتى أننا نجد ثمة تناقضا في أجندات ومقررات اليسار المؤمن بمبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية، فتجدهم أشد المدافعين عن أنظمة استمدت شرعيتها من القتل والدماء والحكم السلطوي الفاسد "بشار الأسد في سوريا - جوزيف ستالين في روسيا ..إلخ". ويروق لي دوما استعمال تعبيرات المنظر الفرنسي الناقد لليسار بفلسفتيه الشيوعية والاشتراكية. حينما يقول إن الفكرة الشيوعية عموما هي يوتوبيا تقع في محل الاتهام الدائم، إذ إنها تصر على نجاحها بصلف وقدرتها على إحداث التغييرات إلا أنه كان أولى بها أن تترك مكانها لثقافة "حقوق الإنسان" التي تجمع بين عبادة الحرية "بما تحتويه من حريات المبادرة والتملك والاغتناء كضمانة مادية للأنواع الأخرى من الحريات"، ومن جهة ثانية من تمثلها كضحية لثنائتي الخير والشر. وتعجبني أيضا عبارته التي توصف تلك الحالة حينما يقول: "إن أجهزة الدعاية هذه لا محل لها من الإعراب اليوم التي تعيد إنتاج العديد من الألاعيب البلاغية في الحرب مثلا ضد الإرهاب"، لذا فأي محاولات أو تنظيرات تأتي لاستدعاء تاريخ وأوراق ومقاربات اليسار لتفسير قضايا وطنية ومجتمعية وتكنولوجية ملحة وراهنة، هي محاولة لاستنساخ إنسان من آخر متوفى إكلينيكيًا.

إنفوجرافيك

# إرنستو غيفارا دي لا سيرنا

## ١٩٢٨-١٩٦٧

**محل الميلاد:** الأرجنتين

**مؤلفـــاته:** مذكرات شاب على دراجة نارية

**سيرة حياته:** تأثر بأفكار كارل ماركس
وشارك في ثورات أمريكا الجنوبية
من أجل تحقيق العدالة

**تنقل بين عدة دول وعاش في كلا**

**من غواتيمالا والمكسيك وكوبا والكونغو وبوليفيا**

- أصبح مستشارا لفيدال كاسترو وشارك كقائد عسكري في الثورة الكوبية وتم تعينه كسفير لكوبا ووزير صناعة ورئيس البنك الوطني.
- استقال وذهب إلى الكونغو لتدريب الفصائل المسلحة على حرب العصابات، ثم ذهب إلى بوليفيا من أجل القيام بالثورة.

**وتم إعتقاله وإعدامه في ١٩٦٧**

# مفهوم الاغتراب عند كارل ماركس

محمد دوير
كاتب وباحث من مصر

بداية هل الاغتراب مصطلح فلسفي أو اجتماعي أم اقتصادي؟ هل هو مصطلح أصيل في الفكر الغربي من حيث قدرته على تفسير قضايا إنسانية ومشكلات ثقافية؟ وهل تطور المفهوم بحيث تطورت طاقته الدلالية عما سبق؟ ربما كانت هذه التساؤلات ضرورية عند كل حديث في الاغتراب، ولكن الأمر هنا ضروري بشكل ما أو بآخر، ذلك أن معالجة ماركس للموضوع كانت نقطة تحول مهمة وجذرية، سواء في فلسفة ماركس أو في مفهوم الاغتراب ذاته.

يعد البحث في الاغتراب لدى بعض الفلاسفة هو بحثًا في وجود الإنسان ذاته، بحثًا في رحلته من السماء إلى الأرض مرتدا بتغذية ارتجاعية إلى السماء. أي بحث في اغترابه لحظة أن طُرد من الجنة- وفقا للكتب السماوية - فحكم عليه بالغربة عن مملكة السماء ليشقى في الأرض باحثا عن وطن بديل وملجأ مؤقت، ولكن لا مفر من شعوره بالغربة وسعيه طوال حياته للعودة في دراما إنسانية سجلتها الكتب المقدسة وتفسيرات الأثر الديني وناقشها فلاسفة ومفكرون وعلماء اجتماع ومؤرخون. والاغتراب لدى البعض الآخر من الفلاسفة هو بحث في تجليات العقل الإنساني أثناء رحلته نحو الكشف عن مضامين النفس البشرية والطبيعة الحية المتغيرة باستمرار والمجتمعات الإنسانية المتطورة باطراد. ولدى فريق ثالث بحث في مستجدات العلوم الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، والتعبير عن تلك المستجدات بمصطلحات مناسبة ومعبرة قادرة على احتواء دلالات المصطلح.

وما بين تلك الفرق والجماعات العلمية تصنف التوجهات والمدارس الفكرية بحسب منظور البحث والتحليل والتفسير، ليبقى الاغتراب هو المصطلح الواحد الذي نشير به إلى ظواهر عدة، لذلك كثرت تعريفاته وتعددت دلالاته وكاد أن يضيع معناه من كثرة استخداماته، فحينما صار معبرا عن كل شيء اقترب من أن يكون لا شيء، فاختلط بين الإدراك العام له والوعي المتخصص به، وهو،

وإن ظل مصطلحا محدود الاستخدام حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ ما لبث أن انتشر وتشعبت مفاهيمه منذ منتصف القرن العشرين وحتى اليوم. وهذا التغيير إنما يشير إلى أزمة أكثر ما يرمز إلى حل أو تجاوب معرفي، فقد صار الاغتراب أحد المصطلحات الكلية في الفكر الفلسفي وتوسعت فيه أيضا النظريات الاجتماعية وأضفت عليه قيمة معرفية كبيرة خاصة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، فكان أحد مناطق الصراع والتجاذب بين التفسير المادي والمثالي، فذهبت كل مدرسة لتفسير مخالف للأخرى وبالتالي انعكس هذا على تضمن المفهوم لمساحة كبيرة من طرق الفهم وأحيانا التشتت والغموض في تحديد ماذا يعني بالضبط.

## الاغتراب ما قبل ماركس:

نقطة البداية سنجدها عند الفيلسوف الألماني"فيشته" Johann Gottlieb Fichte" ١٧٦٢– ١٨١٤ نظرا لأن إسهاماته في تأسيس فكرة الاغتراب في الفلسفة الحديثة تركت أثرا واضحا في هيجل الذي قدم واحدة من أهم التفسيرات للاغتراب. ويعد فيشته وسيطا معرفيا بين كانط وهيجل من حيث إن فلسفته جاءت لتعالج بعض الإشكاليات التي عانت منها فلسفة كانط. فقال بأن الإنسان روح، وحياته في هذا العالم من خلال جسده ليست سوى ساحة وجود، وأن حريته الأساسية لا تمارس من خلال الحقوق المباشرة في الواقع بقدر ما تسعي للتحرر من هذا الواقع بفعل ممارسة وعيه الحقيقي، فكل إبداع يتم في العالم المحيط به إنما هو إبداع الذات أي الروح، التي تطرح إبداعها في الموضوع أي العالم الظاهر عبر عملية تخارج "Entausserung" من الفعل ausser" والذي يعني: يجعل شيئا ما خارجيا أو مفارقا. ويقصد به فلسفيا أن الموضوع أو عالم الظواهر هو إبداع الروح، أو متخارج عنها، إذ يقوم العالم الروحي باستخراج العالم الموضوعي من ذاته ليجعله متخارجا عنه. وهو مصطلح قصد به معنيين"التسليم"بالمعنى الذي قصده روسو، و"التجرد"هو ما انشغلت به نظرية العقد الاجتماعي عموما ولا سيما لدى لوك وهوبز. والتخارج هنا فعل إبداعي تقوم به الروح حينما تكون مقيدة في جسد. وينسب الفعل هنا إلى هذا الجسد أو الشخص الموجود، وكأنها انفصلت عن ذاتها في صورة إبداع حر لتحل في جسد أو وجود عيني، أي تحل الحرية في الضرورة، وهذا المعنى يكشف عن حالة الاغتراب في قمة تفسيرها المثالي.

ومن ثم تصير" الذات"عند فيتشه نقطة الانطلاق، فمنها يمكن قيام معرفة حقيقية حينما تتمكن من إدراك ذاتها ومحيطها والمركب منهما، أي حينما تعي الذات ذاتها، ثم تكتشف خلال وعيها هذا أن إدراكها لذاتها فقط ليس هو كل الحقيقة، فتدرك على الفور نقيض الذات أو المتخارج عن الذات. ومن الذات ونقيضها ينتج مركب منهما أو يتم الكشف عن علاقتهما معا في وحدة واحدة. هنا لا يتحقق الإيجاب"الذات"سوى بإدراك السلب"نقيض الذات". وعبر ثلاثية الذات ونقيضها والمركب منهما تنتج لنا الطبيعة الجدلية للمعرفة عند فيتشه، والنتيجة المثالية أيضا للفلسفة لديه. فالمعرفة الجدلية تتكون من تفكير أحادي إيجابي تدرك به الذات ذاتها، ثم تفكير أحادي سلبي تدرك به الذات نقيضها،

ثم تفكير تحليلي يضبط المعرفة الكاملة من مركبهما. وهذا التفسير يكشف عن أهمية ودور السلب في اكتمال المعرفة لدى فيشته وقد استلهم دور وقيمة السلب من سبينوزا، ثم انتقلت من فيتشه إلى هيجل ومن ثم إلى ماركس وإن كان بصورة مختلفة.

وقبل تناول موقف هيجل من الاغتراب ينبغي أن نقدم لمحة متواضعة عن فيلسوف سوف يؤثر تماما في هيجل، وهو شيلنج"١٧٧٥- ١٨٥٤الذي يتكون نسق المثالية المتعالية عنده من أربعة عناصر"الفلسفة النظرية، الفلسفة العملية، الغائية، فلسفة الفن". ويذهب إلى أن شرط قيام المعرفة وأساسها وقضيتها الأساسية هو"الأنا" باعتباره - في نظر شيلنج- الجوهر الوحيد والأولي في بناء كل معرفة، لذلك انشغل بنقد مفهوم الجوهر عند سبينوزا والموناد عند ليبنتز ومشروع كانط النقدي، لأنهم لم يتوسعوا في فهم حدود عمل"الأنا"ونطاق تأثيرها ومستوى خصوصيتها. إن شيلنج يدعم فكرة الذاتية المتعالية أو"الأنا المطلق"كأساس للمعرفة النسقية. ذلك" الأنا"الذي يكسبه شيلنج صفات تشبه الوصف الإغريقي في إطلاقه، فالأنا: جوهر حي، منتج، مكتف بذاته متعين بذاته.

وإذا ما قررنا مسبقا أن فلسفة هيجل هو المركب بين المثالية الذاتية عند فيشته، والمثالية الموضوعية عند شيلنج ( حسن حنفي: فيشته فيلسوف المقاومة)، يمكن استنتاج أن تصورات هيجل عن الاغتراب لن تخرج عن حدود فهمه للإنسان بوصفه" عقلا"،

هذا العقل يظل طوال فترة وجوده في حاجة إلى إدراك مفهوم"الكلي"والسعي إليه، وإذا ما افتقد تلك الكلية فإنه يغترب بذاته عنها، يغترب عن جوهره، فالجوهر هو طبيعة العقل. ويخطئ الإنسان حينما يحاول نفي هذا الاغتراب عن طريق الإيمان الأخروي، وكأنه يؤجل التوحد لحين البعث، وينكر هيجل بالتبعية هذا الشعور أو الموقف مؤكدا على أن نفي الاغتراب لا يأتي عبر تأجيله لما بعد الحياة، إنه نابع من داخل الإنسان وموجود فيه، أعني في طبيعته الجوهرية، مما يعني أن مفهوم الاغتراب عند هيجل ينبغي أن يتضمن صورتين هما الاغتراب عن البنية الاجتماعية والاغتراب الأخروي- الأخروي هنا يعني المجاهدة الفردية للإنسان باعتبار الخلاص مشروعا فرديا-، وكلاهما يدعمان ذاتية الفرد وشعوره بالاستقلال على حساب وحدته مع البنية ومع طبيعته الجوهرية.
وفي كتابه الأهم" ظاهريات العقل الكلي"١٨٠٧ ظهر مصطلح الاغتراب في أنضج صوره وأشمل تفسيراته عند هيجل. والكتاب دراسة فلسفية يتناول فيها تجليات العقل البشري عبر تتبع تطوراته التاريخية مؤكدا على أن كل جوانب النشاط العقلي الإنساني إنما هي جوانب لتطور واحد مستمر قام به العقل الكلي عبر التاريخ - ليس في سياقه الزمني ولكن سياقه المنطقي - بمعني أنه لم يكن مؤرخا يتدرج مع الزمن بل يربط السياقات في صورة منطقية تثبت وحدة العقل الكلي.

ويؤسس هيجل نظريته تلك التي تعد مدخلا لدراسة مفهوم الاغتراب على مقولتين هما البنية الاجتماعية والفردية. وهيجل لا ينكر أن الفردية أو الذاتية أحد وجوه الإنسان التي تعبر عن خصوصيته،

ولكنها سمة سريعة الزوال بموت الإنسان أو نهايته، لذلك يجب توظيفها في تأسيس شيء ما كلي أو جوهري، إذ لابد وأن هذه الفردية تلعب دورا ما عن طريق الجانب الآخر للعقل. هيجل هنا يكسب العقل طبيعة مزدوجة، الأولى تعبير عن الوعي والإرادة الذاتية وتلك تمثل خطوة أولية أو مرحلة من مراحل الطبيعة الثانية وتلك هي السمة الكلية للعقل التي تنشد الجوهري. إذن هناك عقل فردي وعقل كلي، وهذا العقل الكلي تكون مهمته تجاوز الخصوصية والتعبير عن حركة الفكر أي عن الوعي الإنساني. أما عن البنية الاجتماعية فهي المجال الذي يعمل فيه العقل الفردي، ومجموع العقول الفردية هذه تشكل بنية شعب ما، ولا يتحقق العقل الفردي دون مجال يعمل وينشط ويتفاعل من خلاله. ولكن هذا التمييز بين العقل الفردي والعقل الكلي من حيث الوظيفة والعلاقة والقيمة؛ سوف ينتج عنه مشكلات لا يمكن تجاوزها. ومن هذين المحددين المعرفيين" الفردية والبنية الاجتماعية"يمكن فهم تناول هيجل للاغتراب، الذي يعني: وضع ينشأ حينما يطرأ تغير في مفهوم شخص ما عن ذاته، إنه ليس شيئا يفعله المرء أو النتيجة المقصودة لتصرف صدر عن عمد، فالمرء يجد نفسه وقد حل هذا الوضع بساحته ( ريتشارد شاخت: الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين).

وعند غالبية المفسرين استخدم هيجل الاغتراب بمعنيين ١- إما بوصفه اغترابا للذات عن جوهرها، وإما ٢- بمعنى اغتراب الفرد عن البنية الاجتماعية التي يحيا فيها، أي اغتراب عن جوهره واغتراب عن عالمه. المعنى الأول، الذي يقصد به اغتراب الذات عن جوهرها ويترادف مع ما تشير إليه كلمة Fremd الألمانية بمعنى" غريب"،

ويعني بها أن يصبح شيء ما غريبا جراء انفصاله عن الأصل، وهذا المعنى استخدم على هذه الصورة من قبل علماء اللاهوت الإصلاحيين للإشارة إلى انفصال الفرد عن اللّه. والمعنى الثاني يقصد به اغتراب الفرد عن مجتمعه، وظهر في العصر الحديث في سياق التأصيل للعقد الاجتماعي حيث يتنازل الفرد للمجتمع عن جزء من خصوصيته في سبيل البناء الاجتماعي، إنه نوع من التخلي أو التسليم، فهو شيء مقصود تماما كما كان بالنسبة لمنظري العقد الاجتماعي، إنه يتضمن تنازلا واعيا أو تسليما وذلك بقصد ضمان تحقيق غاية مرغوب فيها أي الوحدة مع البنية الاجتماعية ( ريتشارد شاخت: الاغتراب). فالأول يعني الانفصال والثاني يعني التخلي طوعا أو التسليم، الأول لا إرادي والثاني إرادي. وسنتناول كل منهما بقدر من الإيجاز.

الاغتراب انفصالا: يشير إلى فقدان الوحدة مع البنية الاجتماعية، وتاريخيا ظل الإنسان الفرد لا يفكر في نفسه سواء كذات أو احتياجات سوى من خلال ما يحيط به سواء أفرادًا أو جماعات، ولا يتم هذا بقرار فردي يتخذه الشخص بقدر ما هو تصرف يبدو تلقائيا وطبيعيا، حيث تتشكل سمات الشخص العامة وفقا لملامح الجماعة التي ينتمي إليها، وعندما تنشأ مشكلة ما تمنع هذا الشخص من مداومة التكيف مع البنية الاجتماعية ينفصل عنها ويعود إلى ذاته ووجوده المستقل، ويبدأ رحلة من نوع جديد تبدأ من وعيه بالتنافر مع بنيته الاجتماعية فيدخل في حالة اغتراب حينما يجد أن البنية الاجتماعية ذاتها ليست متكيفة مع وعيه هو.

ثمة تفسير ثان للانفصال يتطابق مع رؤية شيللر: أن عالما يتجلى للإنسان فقط حينما يكف عن التطابق مع ذلك العالم. أي لا تجد الذات نفسها سوى بالابتعاد عن عالم التجربة الحياتية، عالم الواقع، لأنها كلما ابتعدت عنه تهيأت للتوحد مع عالم آخر أكثر جوهرية وثباتا، وفي الوقت نفسه يستطيع إذا ما ابتعد عن عالم الوقائع أن يدركه جيدا.

وهناك تفسير ثالث ويعني به فقدان الاستقلال، أي حينما يكون معتمدا على آخرين في تحصيل ثروة أو ممتلكات.

ويشير التفسير الرابع للاغتراب عن الذات، إلى مستوى آخر في فهم وظيفة البنية الاجتماعية وهو مجال فعل العقل الفردي للشخص، ولكن ليس هذا فحسب بل تتحول البنية الاجتماعية ونتيجة لمجموع العقول الشخصية إلى أنها تصبح عقلا متموضعا هي في ذاتها عقل - للتقريب نقول كأنها عقل جمعي- وهذا العقل المتموضع أيضا يصبح مغتربا عن الفرد.

ويدل هذا التفسير- الرابع- على أمرين، أن البنية الاجتماعية مزدوجة الأثر الاغترابي على الفرد، مرة لكونها كيانا أو مجال فعل العقل الفردي، ومرة لكونها عقلا متموضعا له سمات إجمالية كوسيط ربما لفكرة الكلية بعد ذلك. والفارق بينهما هو أن البنية الاجتماعية بوصفها مجالا هي بالنسبة للعقل الفردي مصدر تركيب وعي، والبنية بوصفها عقلا متموضعا مصدر إنتاج وعي. ويعتبر هذا التفسير أن ذات الإنسان الحقيقية هي تلك المتموضعة في البنية الاجتماعية، وبالتالي يخسر كثيرا إذا ما أخفق في إدراكها. ذلك أن الحياة الشخصية للفرد هي عضو في الكل الحيوي لهذا العالم وهو هويته الحقيقية.

وأن المضمون الروحي للبنية الاجتماعية- طورها هيجل بعد ذلك في صورة الدولة- هي جوهر الفرد، فكلما تنامى اتصاله بها تجلى جوهره ووجوده الحقيقي. والتعبير الدقيق هنا هو عبارة العقل المغترب عن ذاته، أي عن البنية الاجتماعية القائم فيها الروح الجماعية التي يشكل العقل الفردي جزءا منها. هنا يشير هيجل إلى أن للعقل نوعين من الوجود، وجود فردي يمثّل جزءا من الكلية، ووجود كلي يهيمن على العقل الفردي. والاغتراب ينشأ من انفصال أحدهما عن الآخر، أي عندما يتوقف العقل الفردي بالانفصال عن استلهام الكلية باعتبارها مبررا لوجوده.

الاغتراب تسليما: " التسليم أو التخلي أو التضحية"، فإذا ما كان المعنى الأول يتم علاجه بالاندماج في البنية الاجتماعية ودفع الشخص لذلك دفعا حتى لو لم يرغب هو في ذلك؛ فإن التسليم هنا هو عملية يجب أن يكون مرغوبا فيها بقوة من الشخص، ويجب أن تنبع من داخله.

اتخذ الاغتراب -إذن- معاني عديدة طوال مسيرته التاريخية بحسب السياق المعرفي والمرحلة التاريخية وهيمنة نوع معين من الثقافة. ولكن الثابت أن الفكر المعاصر وخاصة في القرن العشرين شهد تطورات مهمة في تفسير الاغتراب، وإن كان القرن التاسع عشر هو عصر تأسيس المعنى الفلسفي بحيث يمكن القول إن إبداعات القرن العشرين كانت محاكاة وتفسيرا وتعميقا للمعاني التي وردت لدى هيجل وماركس من قبل. وجاءت الاختلافات حول تحديد أطراف الاغتراب وطرق ومناهج حل مشكلته. مثلا بين الإنسان وذاته، بين ذات الإنسان والروح المطلق، بين الإنسان والطبيعة، بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان وقوة عمله... إلخ.

ويمكن إيجاز أهم صور الاغتراب كما وردت في الثقافة المعاصرة بشكل عام في المعاني الأربعة الآتية:

**نقل الملكية:** ويعني نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر، أي حينما يؤول شيء من"أ" إلى "ب"هنا يشعر"أ" بالاغتراب حينما يفقد جزءا منه أو من إنتاجه أو إبداعه. لأن ما سلب منه ليس حقا لغيره. وفي هذا المعنى يجب توافر شرطين هما الإرادة أي إرادة الطرف"ب" في الحصول على ناتج عمل الغير، الشرط الثاني هو فعل"الاستيلاء" نفسه أي وضع اليد، الذي تتحول بمقتضاه الملكية إليه.

**الاضطراب العقلي:** حينما يتعرض شخص لصدمة عنيفة ينتج عنها اضطراب عقلي يفقد فيها الصلة المنطقية بالأشياء المحيطة به، حينها يوصف هذا الشخص بأنه مغترب عن العقل أو الفهم. وفي معجم المعاني يعني "الاغتراب الذِّهنيّ: "علوم النفس"مرض نفسيّ يحول دون سلوك المريض سلوكًا سويا وكأنّه غريب عن مجتمعه، ولذا يلجأ إلى العزلة عنه. أو تركيز اهتمامه على أشياء معينة دون غيرها مما تفقده القدرة على رؤية شاملة للواقع بمعني أن عقله هنا لا يدرك كل العلاقات البينية والسببية بين وقائع الحياة الاجتماعية.

**الغربة:** وله معنيان، إما شعور الإنسان بانفصاله عن الناس من حوله وشعوره بالوحدة وعدم القدرة على التكيف معهم، وإما بمعني الغربة عن اللّه والبعد عنه من خلال فقدان الصلة معه سواء بالشعور أو بالطقوس الناتجة عن غياب الولاء له.

**الانفصال:** ويعني به انفصالا حتميا بين كيانات تحكمها وحدة ما، ويترتب على هذا الانفصال استقلال بين هذه الكيانات، وصراع في الوقت نفسه نتيجة الاحتكاك بوصفهم أجزاء لكينونة واحدة. وقد استخدم هيجل هذا المعنى في وصفه للكون باعتباره مكونا من أجزاء منفصلة ولكنها متفاعلة ومتكاملة في الوقت نفسه.

وسنلاحظ أن المعنى الأول، اقتصادي: مثل انتقال الملكية، والثاني سيكولوجي: مثل غياب الوعي وفقدان القدرات العقلية، والثالث فلسفي: مثل تآكل وتدهور العلاقات الإنسانية بين شخصين أو شخص وجماعة، أو جماعة وأخري. والرابع ديني: ويتمثل في الابتعاد عن اللّه. وهناك تصنيف آخر يتناوله كاتجاهين، اتجاه هيجل ونقله عنه جورج زمل Georg Simmel (١٨٥٨– ١٩١٨) أستاذ علم الاجتماع الألماني، واتجاه ماركس ونقله عنه وفسره جورج لوكاتش تلميذ زمل في الوقت نفسه. وزمل رغم هيجليته لم يستطع تجاهل تأثير المجتمع الصناعي على مفهوم الاغتراب لدى الإنسان الحديث. ويعود الفضل إلى جورج لوكاتش في الكشف عن مفهوم التشيؤ كمعنى مركزي للاغتراب في رأس المال، فخلال عملية إنتاج السلع في النظام الرأسمالي يحول الإنسان إلى شيء حينما تصبح قوة العمل سلعة مثل أي سلعة أخرى مستخرجة من الطبيعة، فالشكل الحالي الذي تفرضه الرأسمالية على علاقة العامل بالإنتاج هي علاقة عبودية ومن ثم يصبح العمل في موضوعه عملا مغتربا.

ومن وجهة النظر الماركسية يبقى العامل الاقتصادي هو مؤسس تلك المعاني الأخرى باعتبارها بناء فوقيا ناتجا عن طبيعة العلاقات الاجتماعية/الاقتصادية. وهو ما سنعرض له الآن.

## 2. صقيع الاغتراب عند ماركس

لا يمكن إنكار دور التصور الماركسي للاغتراب من حيث التركيز على تناوله بدقة وتحديد دلالته ودوره في تشويه القيم الإنسانية دون مبالغات فلسفية هائمة في سماء الوعي الفوقي.

لأنه يهدف إلى التأكيد على مقولة أعتقد أنها بيت القصيد وهي أن ما طرحه ماركس في الاغتراب لم يزل يتجلى لنا في صور اجتماعية عديدة في شمال العالم وجنوبه، الأمر الذي يتنافى مع محاولات تغريب ماركس أو تجاهله أو إنكار حداثته المتجددة والنظر إليه من منظور تاريخي أو تأصيلي فقط.

وقد تناول ماركس مفهوم الاغتراب في أكثر من موضع: "مخطوطات باريس" و"العائلة المقدسة"و "الأيدولوجيا الألمانية" أي في الفترة (١٨٤٣-١٨٤٧) ثم غاب عن تناوله لمدة ١٢ سنة، وعاود الإشارة إليه من جديد في "مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي" (١٨٥٩) والجزء الأول من "رأس المال" (١٨٦٧) حينما أشار إلى فيتشية السلع. مما يعني أن الاغتراب ظل حاضرا في لب فلسفة ماركس، ومفهوما رئيسا في تفسيره للواقع الاجتماعي، بل وأحد أدوات ماركس التحليلية وهذا ما أكده روبرت توكر (Robert C. Tucker١٩١٨-٢٠١٠) حينما أشار إلى أن "العمل المغترب" ظل من حيث المعنى "العمل المأجور" عند ماركس، وتطور من خلال أعماله، سواء المبكرة أو المتأخرة، وهي تتناول خمسة أبعاد على الأقل تبدو متداخلة فيما بينها وهي: اللاهوتية، والسياسية، والنفسية والاقتصادية والتكنولوجية. فكل بعد منها يقابل موضوعا ميتافيزيقيا في جوهر الإنسان يؤدي إلى عزلته. وبالنسبة لماركس فتلك الأشياء أنتجها البشر أنفسهم لكي يتمكنوا من الهيمنة على الآخرين الذين لا يملكون السلطة المباشرة للسيطرة عليهم.

والجدير بالذكر فإن ماركس لم يكن أول من تحدث عن الاغتراب انطلاقا من اغتراب العامل عن عمله،

فقد أشار كل من جون ستيورات مل وتوكفيل إلى أن استمرار الرأسمالية في نزعتها الاستلابية سوف يؤدي في مرحلة ما إلى تنامي الشعور لدى العمال بمدى الظلم الاجتماعي الواقع على كاهلهم. ولكنهما لم يطورا من المفهوم أكثر من الإشارة إلى وجوده وأثره السلبي في النظام الرأسمالي. فقد طرح "مل" مثلا حلا لهذه المعضلة بأن طالب بضرورة مشاركة العمال في الإدارة والإنتاج والإرباح.

فيما ينطلق التحليل الماركسي من أن الدوافع التي تشكل الإنسان المعاصر هي نتاج وانعكاس لطبيعة نمط الإنتاج الرأسمالي، وبما أن هذا النمط هو حادث في التاريخ، فإن الدوافع -في معظمها- هي حادثة أيضا في التاريخ ومرتبطة شرطيا بالصورة التي تتشكل بها الرأسمالية وتطبع خصائص الإنسان الثانوية، فالرغبة في تأمين البقاء على قيد الحياة هو أحد الشروط الرئيسة لوجود الإنسان، ولكن الدافع للتملك ليس شرطا أساسيا له ولا خاصية من خصائص وجوده، بل اقترن حب التملك بظهور الملكية الخاصة. هذا التمييز الدقيق كان أحد مشاغل ماركس، ولكن كثيرين من أنصاره لم ينتبهوا جيدا لتلك القضية، وربما يعود ذلك إلى أن مخطوطات باريس التي ناقش فيها الاغتراب بقدر من الاهتمام ظلت مضمرة لسنوات طويلة في تاريخ الماركسية، فالفترة ما بين ١٨٤٤- ١٩٣٢ شهدت إصدار مؤلفات كثيرة جدا عن ماركس والماركسية غاب عن معظمها البعد المعرفي الذي ورد في المخطوطات.

إن إسهام كارل ماركس في الاغتراب يعد علامة فارقة ونقطة تحول كبرى لنظرية المعرفة في القرن العشرين حيث تناولت معظم المؤلفات عن الاغتراب التصور الماركسي وجعلته محورا من محاورها سواء بالنقد أو بالتعديل أو بالإضافة. ففي الفترة من ظهور ظاهريات الروح (١٨٠٧) وحتى الكشف عن مخطوطات ماركس في (١٩٣٢) لم يحتل مفهوم الاغتراب دورا ذا قيمة في الفكر الفلسفي أو الاجتماعي بوصفه مصطلحا تفسيريا لكثير من القضايا الإنسانية. فلا التأسيس الفلسفي الحديث له مع شيلنج أو شيللر، ولا التضمين الفلسفي له عند هيجل كانا قادرين على وضع المفهوم في تصوره الشامل المفسر كما تبدّى ذلك حينما تم كشف النقاب عنه على يد لوكاتش.

وعلى مدار ما يزيد عن القرن ظل المصطلح يراوح عدة دلالات في تقديري كانت تأسيسية، ثم تحولت بعد ذلك -أقصد بعد ظهور المخطوطات- إلى أدوات تفسير دارت في فلك الفكر الفلسفي وصارت جزءا مهما من أبحاث علم الاجتماع المعاصر. وهذا ما يؤكده أحد أهم الذين تناولوا مفهوم الاغتراب عند ماركس؛ إذ يقول إريك فروم: بالنسبة لفلسفة كارل ماركس، والتي تجد تعبيرها الأكثر وضوحا في "المخطوطات الفلسفية والاقتصادية" فلأن المسألة المركزية هي مشكلة وجود الإنسان، ككائن فردي واقعي حقيقي، يتحدد معنى وجوده من خلال عمله، والتي تتجسد "طبيعته" وتحقق ذاتها في الصيرورة التاريخية ( اريك فروم: مفهوم الإنسان عند ماركس).

وإذا ذهبنا مع فروم حول مركزية الإنسان كمحور لفلسفة ماركس بصفة عامة، يصبح من الضروري تفهم ماذا يعني ماركس بالإنسان؟ وكيف يتصور حريته؟ تذهب الماركسية إلى أن الإنسان هو صانع الإنسان وأن العمل هو الفاعلية السالبة التي يستطيع الإنسان عن طريقها أن ينفي الطبيعة وأن يعمل على إخضاعها لسيطرته محققا ذاته من خلال هذا العمل نفسه( زكريا إبراهيم: الطبيعة البشرية في فلسفة كارل ماركس) ومن ثم تصبح علاقة الإنسان بالطبيعة أكبر من مجرد كونها علاقة اتصال، بل هي بمثابة علاقة امتداد، فالإنسان لا يكتسب صفة الوجود دون أن يكون وجودا متحققا في الطبيعة، قائما عليها، مستمدا حياته منها، ومكتسبا تطوره من خلال نشاطه العملي فيها، فبدونها يموت فيزيقيا، وبدون العمل والتحكم فيها يموت كفاعلية، ولهذا قال ماركس بأن النتيجة الجوهرية للإنتاج هي وجود الإنسان، حيث يتداخل الطبيعي مع الصناعي، كما يتداخل التاريخي مع الآني، حتى ينتج لنا إنسانا فاعلا، ولكنها ليست فاعلية كما فاعلية العبد الذي يكتسب قوته من خلال الرضوخ لقوانين السيد، ولكنها فاعلية إنسانية حرة تضع الإنسان في صراع مع الطبيعة ليس من أجل الخضوع لها بل من أجل السيطرة عليها والتأثير فيها، أي لكي يخضعها لقوانينه هو في التطور.

ومن ثم فمفهوم الإنسانية في الماركسية يأخذ بعدا أكثر وضوحا، لأنه ينظر إلى التحرر الإنساني من منصة المحارب الطبقي كما يقول- ساخاروفا- فالماركسية في رفضها للمضمون اللا طبقي الإنساني، وصلت إلى حل مشكلة الإنسان حلا عيانيا- تاريخيا، وفي كشفها لمستقبل تطوره بينت الشروط الواقعية لتحريره.

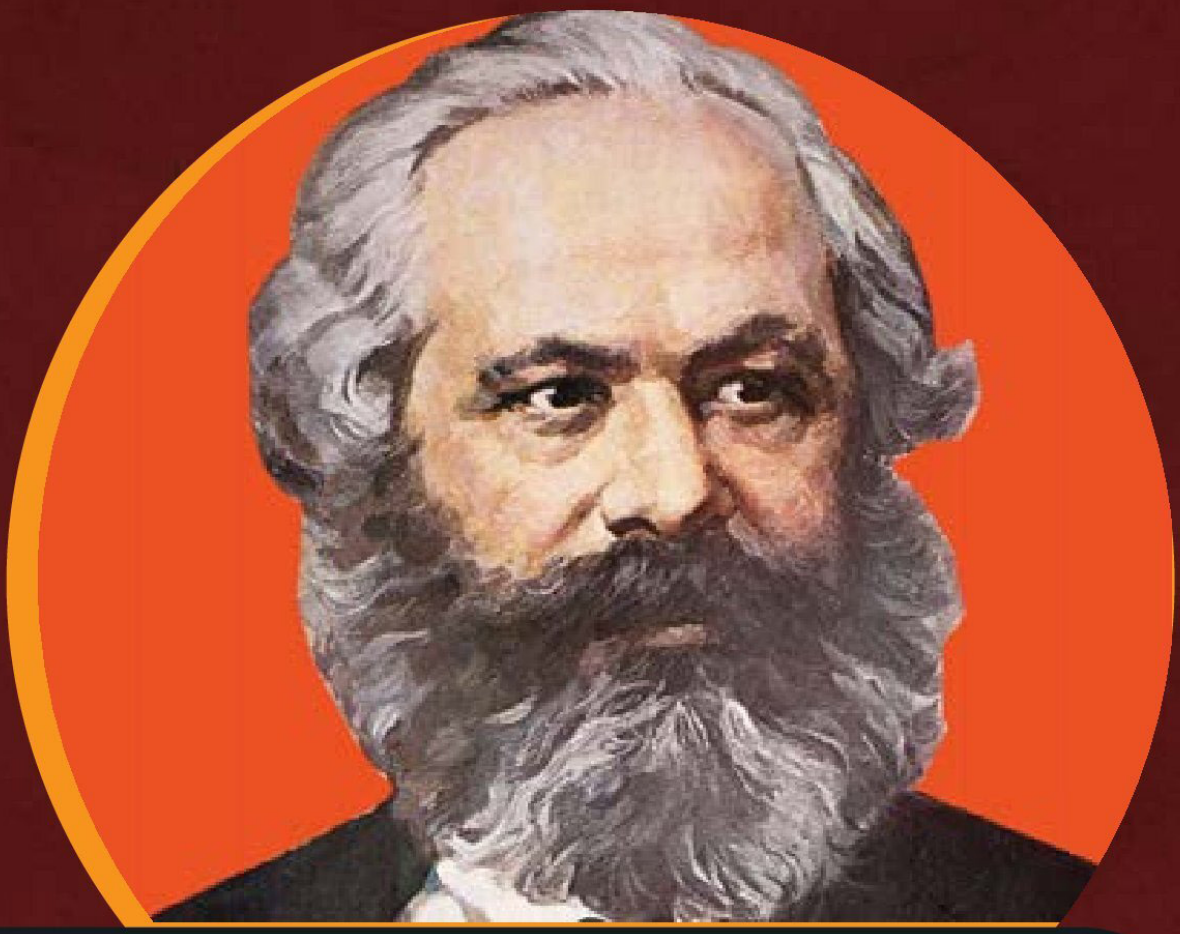

# ما سر أهمية كارل ماركس؟

نبض

شبكة مواطن الإعلامية

ما بعد الخطوط الحمراء

المملكة المتحدة - لندن